محمود مبروك

السيد المحافظ

مجموعة قصص قصيرة

رقم الإيداع
٢٠١٧/٢٩١١٣

مقدمة

قصص قصيرة عددها عشرة؛ لكل منها طبيعة مختلفة، لكنها كلها من صميم الحياة.

عزيزي القارئ:

إذا أعجبتك القصة الأولى فلن تكون بحاجة إلى دعوة لكى تقرأ التالية، والتي تليها..

وإذا لم تعجبك فإنني أدعوك لقراءة القصة التالية فلها مذاق مختلف، أتمنى أن يرضيك.

وإلى اللقاء

المؤلف

علقة بمليون جنيه

هو؛ موظف بسيط بمصلحة التليفونات، سمع بواقعة تعرضت لها زميلة له بالمصلحة، تتلخص فى أنها – كعاملة سويتش – وأثناء عملها بالوردية الأولى فى السابعة صباحاً، طلب منها سنترال سوهاج توصيل مشترك برقم مشترك آخر يتبع سنترالاً فى القاهرة.

أدارت العاملة قرص التليفون بالأرقام المطلوبة، ورن الجرس ثلاث أو أربع مرات قبل أن تُرفع السماعة، ويطرق أذنها صوت يغلب عليه النوم، وبعض الضيق، وقليل من الغلظة:

– آلو .. مين؟

– خمسة .. ثلاثة .. اثنين ..؟ كلم معاك سوهاج.

– سوهاج مين؟ .. إنت مين يا آنسة؟

– معاك السنترال، فيه رقم طالبك .. كلم يا أستاذ.

– إنتبهى يا آنسة. أنا رئيس الجمهورية.

إرتبكت العاملة، وتصببت عرقاً، وأرادت مراجعة الرقم الذى طلبته، فلم تطاوعها أصابع يدها المرتعشة، فتريثت رويدا، ثم ارتشفت رشفتى ماء من كوب أمامها، وتوقعت أن تكون قد قدمت أو أخرت رقماً على آخر، فطلبت الرقم السرى لرئيس الجمهورية.

تكررت استعجالات سنترال سوهاج لها لتوصيل الرقم المطلوب بالرقم الطالب، فركزت انتباهها، وتمهلت فى إدارة القرص رقما برقم، ولمفاجأتها، أنا سمعت نفس الصوت:

– أيوه!

– كلم رقم ..

- ولم يمهلها المطلوب لتكمل الرسالة، فنهرها ورد عليها بغضب أشد:

- انتبهى يا آنسة، وخللى بالك من شغلك، قلت لك أنا رئيس الجمهورية.

ألقت العاملة سماعة التليفون، وتيبست أصابعها، وتعرضت لشبه إغماءة حتى لاحظتها بعض زميلاتها المجاورات لها، فتقصين منها الخبر، وأشفقن عليها، وأخذن يواسينها.

لم يمض وقت طويل، حتى كان مجلس الإدارة قد اجتمع بناءً على تكليف من وزير المواصلات الذى طلبه الرئيس وأبلغه بالواقعة، وأنه أزعج فى هذه الساعة المبكرة وكان قد نام – كالعادة – فى ساعة متأخرة، ويعلم الوزير أن الإتصال بهذا الرقم مزعج لتوقع أنباء خطيرة حيث لا يعرف الرقم السرى سوى قلة من كبار المسئولين كرئيس الوزراء، ووزير الدفاع ورئيس المخابرات، لا يطلبونه إلا فى حالة الطوارئ القصوى.

اجتمع المجلس دقائق تقصى فيها اسم البائسة التى ارتكبت ذلك الخطأ الفادح، ثم أصدر قراره بالإجماع بفصل العاملة التى أزعجت رئيس الجمهورية بإهمالها الجسيم فى العمل.

لم يشفع للمسكينة تظلمها من القرار، على أساس أن الخطأ ليس منها، ولكن ممن أملاها الرقم، فطلبته كما أملى عليها .. وجلست فى بيتها تضع خدها على كفها، تلعن الحظ، وتدعو الله، إنصافها ..

بعد عدة شهور – وخلال إجتماع لمجلس الوزراء برئاسة الرئيس – شدد على الوزراء لمحاسبة المخطئين، وطالبهم بالتفرقة بين من يتعمد الخطأ، وبين من يقع الخطأ بغير إرادته.

سكت الرئيس لحظة استدعت فيها ذاكرته حادثة عاملة التليفون فقصها على الوزراء ثم توجه لوزير المواصلات حيث سأله:

- صحيح. إنتم عملتم إيه مع البنت بتاعة السنترال اللى اتصلت بى الصبح بدرى بالخطأ؟

- فصلناها نفس اليوم يا افندم.

- فصلتوها؟! هو انتم بتفصلوا اللى يطلب رقم غلط؟

- لا يا افندم. بس دى ما طلبتش أى رقم، دى طلبت رقم رئيس الجمهورية، والصبح بدرى، يعنى إزعاج لا يغتفر.

- لأ يغتفر يامصطفى، إلا إذا كان عندكم دليل على إنها اتعمدت تزعجنى.

- لا يا افندم بالعكس، دى اتظلمت من القرار وقالت ان سنترال سوهاج هو اللى غلط وملاها الرقم اللى طلبته.

- البنت دى ترجع لشغلها يا مصطفى، وتاخد الجزا المنصوص عليه فى اللايحة للى تطلب رقم بدل رقم، يعنى الإهمال البسيط، وتاخد حقوقها عن كل الشهور اللى فاتت من ساعة قرار الفصل.

وعادت الفتاة لعملها .. وتجمع الزملاء والزميلات من حولها يهنئونها على العودة وعلى صرف مستحقاتها، وحين سلم عليها زميلها شفيق الجدى قال لها مداعباً:

- ياللا يابنت المحظوظة .. حوشتى مع الحكومة.

تذكر شفيق تفاصيل الواقعة، وقال فى نفسه:

- يعنى الواحد ماكنش يغلط غلطة زى دى، ويقعد سنة فى البيت، وبعدين يقبض زيها، زى كل اللى خدوها مقطوعية كل يوم؛ شغل، ومواصلات ومصاريف بوفيه .. وصل به الأتوبيس إلى ميدان العتبة، فقطع الخطوات إلى سنترال الأوبرا؛ أحد السنترالات الرئيسية فى القاهرة ذات الكثـافة الجماهيرية العالية للغاية فى التردد، فجلس على المقعد الخشبى المرتفع خلف

الـــ(كاونتر)، وتسلم العمل من زميله فى الوردية الليلية، وبدأ فى إستقبال مرسلى التلغرافات – وسيلة التخابر السريع فى ذلك الزمن – وبعض الراغبين فى طلب مكالمة تليفونية محلية إستفادة من سعر المكالمة لثلاثة دقائق مقابل قرش واحد، بينما تتقاضى الأكشاك التى توجد بها تليفونات "خدمة عامة" عن هذه المكالمة المحلية قرشاً ونصف القرش .. وتعود الناس بناء على تنظيم العمل المتعارف عليه أن يصطفوا فى طابورين أمام الموظف الذى يتعامل مع المتقدم فى طابور التلغراف، ثم المتقدم فى طابور التليفون على التوالى.

مضت ساعتان أرهق فيهما شفيق فى عد كلمات البرقيات وحساب أجرتها، وختم النماذج والإيصالات المسلمة للجمهور، ثم تلقى القروش من طالبى المكالمات وإحالتهم إلى الكابينة التى تتم منها المكالمة، وتحويل الخط إليها.

وفى هذه اللحظة، تقدم إليـــه رجل فى الأربعينات، متخطياً دوره فى الطابور الطويل، وقدم إليه – بعصبية واضحة – ورقة نقد من فئة الجنيه؛ قائلاً بلهجة آمرة:

– عايز مكالمة محلية .. اطلب لى رقم ..

وقاطعه الموظف حيث دارت المناقشة التالية، والتى تزايدت حدتها، وتوترت نبرتها:

– أقُف فى الطابور لو سمحت.

– أنا مستعجل، وبعدين دى مكالمة محلية.

– الناس دى كلها مستعجلة وواقفة قبلك .. خد دورك.

– قلت لك أنا مستعجل ومش فاضى.

– طيب المكالمة بقرش، روح هات قرش فكة وتعالى.

– لأ مافيش فكة معايا.

- وأنا ماعنديش فكة ما تعطلنيش.

- طيب اتكلم بأدب.

- انا مؤدب غصب عنك.

- غصب عنى ياحيوان؟ انا حااعرف اربيك.

بدأ الواقفون فى الطوابير يحتجون على ذلك الهمجى المتخطى للدور، والمستفز للموظف الملتزم حيث سيتسبب فى تعطيلهم وإعاقة تلقيهم للخدمة .. والتف الهمجى حول الكاونتر وخلفه أربعة أشخاص يبدون تابعين له، واتجه إلى الموظف حيث أوسعه ضربا، ثم تركه لأتباعه ليكملوا إفقاده للوعى قبل أن يحملوه إلى قسم شرطة الموسكى القريب.

أمام المأمور ورئيس المباحث، لقى توبيخاً مختصراً، بينما قام المخبرون (الشرطيون السريون) بالجزء العملى من العملية، فضربوه بمؤخرات البنادق، والعصى الغليظة، ولم يتركوه حتى اعتقدوا أنه مات.

أفاق .. وتلفت حوله، فرأى سقفاً وجدراناً بيضاء، الملاءات بيضاء، والسرير أبيض، وأصص الزهور تشغل مواقعها على أكثر من ترابيزة فى أركان الغرفة، وعليها من الورود ما يشرح النفس و(يرد الروح).. ولم يعرف أين هو. حاول أن ينادى على من يفسر له، لكنه لم يعرف على من ينادى ولا كيف، ولمح زراً كهربائياً مدلى بجوار رأسه، فضغط عليه، ودخلت ممرضة فى ملابسها البيضاء، وبابتسامة روتينية، ألقت عليه التحية:

- صباح الخير .. حمدالله ع السلامة ..

- هو إيه اللى حصل؟

- انا مش مسموح لى أقول لك أى حاجة .. دقيقة واحدة.

وخرجت من الغرفة حيث دخلها ضابط من الشرطة العسكرية، فكرر ما فعلت الممرضة، وخرج من الغرفة ليجرى اتصالاً تليفونياً تنفيذاً للتعليمات

المكلف بها. بعد ساعة حضر كبير الياوران، ومعه بعض المرافقين حيث قدم نفسه لشفيق، وأبلغه إعتذار الرئيس عما حدث له. وسلمه كارت عليه اسمه ورقم التليفون، وقال له:

خد راحتك لغاية ما تشعر انك بقيت كويس .. وبعدين اتصل بى فى الرقم اللى معاك علشان أقولك على اللى حا تعمله. بس خللى بالك إوعى مخلوق يعرف باللى حصل. وانصرف الرجل ورفاقه، واستعاد شفيق المشهد فابتسم محدثاً نفسه: مين الى حا يعرف إيه؟ هوه أنا نفسى عارف إيه اللى حصل؟

بعد أيام، اتصل شفيق بالرقم، وطُلب منه الانتظار بالمستشفى حتى وصلت سيارة من رئاسة الجمهورية أقلته إلى الرئاسة. إستقبله كبير الياوران، فأبلغه بتعليماته المشددة:

- أولاً صدر قرار بعودتك للعمل، ثانياً، حاتقدم نفسك لرئيس المصلحة، وتختار العمل اللى انت عايزه، ثالثاً: بأكد عليك إن مفيش حد أبداً، ولا اخوك يعرف إن وزير المواصلات اتعدى عليك، أو إنك دخلت المستشفى، ولا أى حاجة فى الموضوع.
- وتساءل شفيق بدهشة:
- هو وزير المواصلات اللى اعتدى على؟
- من حظك إن الرئاسة على علم بتصرفاته ومكلفة جهات بمتابعته وتبليغ الرئاسة بأى شطحة من شطحاته لغاية ما يتم تغيير وزارى، يبعده عن العمل العام.

تسلم شفيق خطابا من رئاسة الجمهورية، وتوجه إلى مكتب رئيس مجلس إدارة المصلحة، وسأله سكرتير المكتب عن سبب طلبه مقابلة رئيس المصلحة فأجابه بإختصار:

- هوه عارف.

- طيب أقول له مين؟

- قول له، شفيق الجدى، وجايبله رسالة من كبير الياوران.

وما كاد السكرتير يدخل إلى المكتب حتى خرج رئيس مجلس الإدارة يستقبل شفيق بنفسه ويقدمه عليه فى الدخول، ثم يجلس أمامه وبينهما ترابيزة صغيرة أمام مكتبه، ويصمم على تقديم المشروب الذى يختاره شفيق، ويقدم له بون بونيرة فيها شيكولاته فاخرة، ويدعوه لتذوقها ..

ويناوله شفيق خطاب الرئاسة فيقرأه بسرعة ثم يستدعى السكرتير، ويأمره بطلب حضور مدير عام شئون العاملين حيث أكد عليه تسليم شفيق العمل الذى يحدده فى الإدارة التى يختارها، مع إعفائه من توقيع الحضور والإنصراف، والتنبيه على رئاسته بعدم إكراهه على أداء عمل لا يرغب فى أدائه، وفى حالة وقوع ما يستدعى مساءلته، يتم إبلاغه شخصياً للتصرف فى الأمر.

تعجب المدير لهذه التعليمات غير المسبوقة، وأحس من تشديدات رئيس المجلس أن شفيق موظف غير عادى، وأنه يمثل جهة عليا لأداء مهمة بالغة الحساسية، فسأله عن المكان والعمل الذى يرغب فى أدائه، وسلمه العمل فيه، وشدد على رئاسته بالحرص الشديد فى تنفيذ تعليمات رئيس المجلس بشأن معاملته:

قضى شفيق أعواماً حتى سن المعاش ملكا غير متوج .. يتصرف كيفما يشاء. يخشاه الجميع بمن فيهم رؤساؤه. وفى الحفل الحاشد الذى أقيم تكريماً له فى المناسبة، نظر شفيق إلى الفضاء، وانطلق خياله يستعيد صورة داعبته منذ ربع قرن عندما غبط زميلته التى عوضت عن ظلمها بصرف مستحقاتها التى تزيد عن المائة جنيه. وقال:

- أنا الكسبان .. أخذت علقة، ثمنها مزايا بأكثر من مليون جنيه.

* * *

أديـــب

كم كانت نفس حمدى كسيرة، وكم كان فؤاده حزيناً، وكبرياؤه جريحاً، بل كم تمزق قلبه وغلى الدم فى شرايينه وهو يشق زحام زملائه الذين تجمعوا أمام كشوف نتيجة آخر العام الدراسى فى سنة الإعدادى بكلية الهندسة، لتقع عيناه على تقديراته المتدنية إلى تقدير مقبول لخمسة مواد بينما انخفض فى ثلاثة منها إلى ضعيف، وهوى فى إحداها إلى درجة ضعيف جداً، بمعنى أنه راسب وعليه إعادة العام، وأنه سيفصل من الكلية التى طالما حلم بالإلتحاق بها إذا حصد نفس النتيجة فى العام التالى.

لم تكن مصيبته قاصرة على الفشل، بل كانت تجسم شؤم حاضر يفصل بين ماض مشرف ومستقبل كان واعداً، وكانت مصيبته أعظم أن تتبدل نظرة سعاد التى أحبت فيه التفوق، والإرادة؛ أكدتهما نتيجة الثانوية العامة المبهرة، كذلك لم يعرف بأى وجه يلتقى والده، الرجل البسيط الذى أفنى عمره فى العمل الجاد، وتكوين الثروة، ثم ضياع معظمها فى ظروف غير مواتية واجهت تجارته، فركز كل أمله فى إبنه، وعقد عليه الرجاء فى تعويض ما فات، وبالفعل وضع قدمه على البداية وكان من أوائل الجمهورية فى الثانوية العامة، فأعفى من مصروفات الدراسة بالجامعة، بل تقررت له مكافأة شهرية تكفيه لكى يعفى والده من أى إلتزام مادى قبله، والأصدقاء ... كان زهرة متفتحة وسط باقتهم ... كانوا يعتبرونه كبيرهم، رغم مضاهاتهم لسنه، فكيف يصبح الحال، وكيف تكون العلاقة بعد ذلك الإخفاق؟

كان والداه – وكثير من أصدقائه – ينادونه قبل عامين من دخول الجامعة بـــ (الباشمهندس) وربما أثر ذلك على تشكيل طموحه بالسعى لدخول كلية

الهندسة، على عكس ما يراه فى غرامه بالأدب، وقراءاته للقصة والشعر والنقد، ولم تكن القراءة هى كل ما يشغله من الأدب، لكن إفراز الأعمال الأدبية كان الشاغل الأكبر له، فكان كثيراً ما يقطع عملاً يؤديه، لكى يجلس إلى مكتبه ليسجل فكرة لقصة، أو هاجساً لعمل يتوقع له وهجاً، أو يسجل نقداً لعمل انتهى من قراءته، وكان هذا ما أعاد له توازنه بعد وقت قصير من تلقى الصدمة، فإذا عرف السبب، بطل العجب، لقد وضع يده على سبب ما حقق فى الكلية من فشل، لقد ملك الأدب عليه نفسه، شغل معظم وقته، وكذلك أدرك أصدقاؤه السبب وناقشوه فيه.

سأله فؤاد:

- إنت ذكى ياحمدى واللى محيرنى. إنك مقدرتش تنظم وقتك، وتخللى الدراسة فى كلية الهندسة بالمواد الصعبة اللى واجهتنا لأول مرة نسمع عنها فى إعدادى هندسة، تكون هى الأساس وهى اللى تشغل معظم وقتك، وتخللى الهواية تشغل وقت الفراغ؟

وأجاب حمدى:

- إنت فاكر إنى بختار إمتى اذاكر، وإمتى أكتب؟

وانبرى حنفى يرد عن فؤاد:

- يعنى عايز تقول لنا الوحى بقى والكلام الكبير ده؟ ياسيدى افتح الباب للوحى فى الأجازة الصيفية. أربع شهور فى السنة، إستضيفه زى ما انت عايز.

ورد حمدى بإستنكار:

- ماهو الوحى مش ضيف، أستضيفه وقت ما أنا عايز داهُب، بيطب وقت ما يقرر هو.

وعلق فؤاد :

- سيدى . دا كلام كبير أوى.
- كلام كبير .. كلام صغير .. دا اللى بيحصل، وأنا مش عايز أقاوم ده حتى لو كنت أقدر .. وحتى لو كنت حاسيب الكلية .. البلد فيها آلاف المهندسين، لكن فيها كام طه حسين، وكام توفيق الحكيم ولا يوسف إدريس؟

ورد حنفى:

- إيه يامولانا؟ وإنت ضمنت إنك تكون زيهم؟ مش فيه ناس كتير بتكتب وما بنسمعش عنهم و ...

وقاطعه فؤاد بسؤال مكمِّل وجَّههُ لحمدى:

- وهو انت ناسى إن طه حسين حصل على الدكتوراه وأصبح وزير للمعارف؟ وإن توفيق الحكيم حصل على ليسانس الحقوق وأصبح وكيل نيابة؟ أما يوسف إدريس فتفوق فى كلية الطب، وهى كلية عملية، وأصبح طبيب مع كتابة القصة. يبقى إيه المانع إنك تبقى مهندس وأديب؟

لم ير حمدى فائدة لاستكمال الحوار، فقد استسلم لطغيان الفكرة، وقرر أن يستمر فى محاولاته البدائية للكتابة، وصقلها بالقراءة ودراسة النقد .. وكما انتهت مناقشاته مع الزملاء، كانت نهاية مناقشته مع سعاد حين أبدت له نفس الرأى فاستنكر منها ذلك قائلاً:

- إزاى عايزة ترديني عن الكتابة وانتى وحى كل أفكارى، والملهم القوى لكل حاجة كتبتها؟

أحست سعاد رضا خفف من غلواء قلقها، واختلط بذلك القلق فشكل فى نفسها حيرة، واستسلمت للهزيمة فى النقاش بسرعة، وعبرت عنها بالقول :

- معلش أنا قلقى عليك هوه اللى خلانى أقول لك كده، لكن أنا واثقة فى تفكيرك وعارفة إن حساباتك إن شاء الله حاتكون سليمة وتوصلك للى إنت عايزه .. بس والنبى ياحمدى ماحدش يعرف الكلام ده.

ولم يدرك حمدى مقصدها أو عن أى كلام تتحدث؛ فسأله:

- أى كلام ياسعاد؟

وأجابت فى خجل وكلمات متعثرة:

- لأ .. يعنى الـــ .. حكاية الوحى والإلهام دى .. عشان حيقولوا إنى سبب سقوطك فى الكلية. وفى ثقة علق على ما تقول :

- إنتى رُحتى بعيد خالص ياسعاد. هو مين عارف إنى با احبك؟ ومين حايعرف حوارنا ده عشان يقول الإلهام وغيره؟ انا با حبك ياسعاد، وعشان كده باخاف عليكى، ومش ممكن حد يعرف حاجة عن علاقتنا، إلا إذا القدر رتب مسائل مش فى الحسبان. لكن اطمنى ياسعاد .. وانا متأكد إنك دايماً حا تكونى سبب نجاحى، والنور اللى حاينور لى طريقى عشان أحقق اللى انا بحلم بيه ..

كما كانت هى الحياة بالنسبة له، والأمل الذى يعيش لتحقيقه، والغد الذى يحلم بالوصول إليه، كان هو فتى الأحلام فى خيالها، ورجلها فى واقع حياتها، كانت جميلة ورقيقة. واعية، وطيبة، أنيقة وبسيطة، وكان هو الشخصية القوية، المثقف حلو الحديث، الرجل فى شهامته وتحمله للمسئولية، وكان عزمه وإرادته كافيان لتحقيق السعادة له ولها ..

كان حمدى على مدى عامين سابقين - ملهما لسعاد، علمها حب الحياة، وأن تعيشها بكل طاقتها، وألا تقف يوماً فى وجه قناعتها حتى لو حاربت الدنيا دفاعاً عنها، وأيدته هى فى أن يعبر عن نفسه لأنه بالتعبير عنها إنما يكتب لها الخلود، وخلود النفس لا تعدله كنوز، مضى حمدى فى طريقه الذى أراده لنفسه،

شجعه فى ذلك ثقة والديه فى تفكيره رغم صدمة الإخفاق .. ودفع سعاد له مؤمنة بتخطيطه لحياتهما معاً.

وبدأ العام الدراسى الجديد، وحمدى غير ملتزم بأكثر من مجرد مراجعة أربعة مواد سبق له دراستها فى العام السابق، ما أتاح له وقتاً أكبر لكى يمضى فى طريق هوايته التى سرت فى عروقه مع الدم .. واستفحلت فى نفسه رغبة الكتابة حتى لو جاءت فى ليلة الإمتحان، ومهما كانت إرتباطاته، حتى أنه كان يترك المحاضرة إذا هبطت الفكرة وينتقل إلى الكافتيريا لكى يسجل خواطره، أو يخرج قلماً ومفكرة صغيرة من جيبه وهو جالس فى الأتوبيس أو على مقعد فى المترو ليكتب ما راوده قبل أن يفقده، وحين سخر بعض زملائه من ذلك، أجابهم:

- ليه بتستغربوا دا منى، وما تستغربوش من عالم كبير قوى لما صعقته النظرية اللى بيفكر فيها ومالّيه عليه حياته، وهو ماشى فى الشارع ومكانش معاه قلم وورقة، لقط حجر جير من الأرض، وجرى ورا عربية حنطور وكتب النظرية على مؤخرة الحنطور السودة قبل ما تضيع منه؟

نجح حمدى وانتقل إلى السنة الأولى، ثم الثانية، فالثالثة بتقديرات متواضعة، لكن النجاح رغم تضاعف انشغاله بالأدب دفع بشحنة من الحماس والإصرار إلى نفسه فضاعفت جهده فى الإتجاهين: الأدب والدراسة فحصل على البكالوريوس بتقدير جيد ..

ومن عجب أن يوم ظهور النتيجة فى الكلية، واكب إعلان جريدة: "أدب وأدباء" نتيجة المسابقة التى أعلنت عنها بتخصيص جائزة مالية لصاحب أفضل رواية، وتكفلت الجريدة بنشر العمل على نفقتها، وفاز حمدى بجائزتها.

فى إحتفال كبير صورته عدسات التليفزيون والجرائد؛ تسلم حمدى الجائزة فى حضور كبار الكتاب والأدباء .. وعلى مقعد منزوٍ توارت سعاد عن الأنظار

حيث حضر والدا حمدى وبعض أصدقائه الإحتفال، وبعد أن هنأوه، تسرب إلى حيث كانت سعاد. ستَرهما أحد أعمدة القاعة وكانت الفرحة تغمر ملامحهما فمدت يدها إليه مصافحة ومهنئة:

- مبروك ياباشمهندس حمدى ..

وتقبل حمدى تهنئتها شاكراً ومصححاً:

- أديب ياسعاد .. أديب.

* * *

بنت نـــاس

حصلت ريهام على الثانوية العامة من دولة البحرين حيث كان والدها مجدى الحداد يعمل وبصحبته زوجته نادية وأبناؤهما؛ رضوى؛ التلميذة المنقولة إلى الثالثة الثانوية، ورامى فى الإعدادية - والصغرى روان فى السنة الأولى الإعدادية ..

إجتمعت الأسرة فى حوار حول التصرف إزاء ريهام، فالجامعة فى البحرين مُكلِّفة، لا يقوى دخل مجدى على مواجهتها، وإذا استطاعت الأسرة ضغط مصروفاتها لمواجهة ذلك العبء، فماذا تفعل فى العام التالى عندما تحصل رضوى على الثانوية العامة، ثم تتكرر المواجهة بعد عامين بالنسبة لرامى، ثم روان بعده بسنتين؟

لذلك انحصر الحل فى بديلين لا ثالث لهما:

أن تعود ريهام إلى مصر والإلتحاق بجامعتها، أو أن تعود الأسرة بكاملها بعد إنهاء التعاقد للعمل فى الخارج، وفقدان الفرصة التى طالما حلم بها مجدى لتحسين مستوى معيشة أسرته دون تحقيق الحلم، لذلك صوتت الأسرة للبديل الأول، مع إضافة له بأن تعود رضوى مع شقيقتها ريهام، للحصول على الثانوية العامة فى مصر ثم اللحاق بريهام للدراسة معاً فى الجامعة.

قضت الأسرة إجازة الصيف فى القاهرة، وأنهى مجدى إجراءات دخول ريهام الجامعة، ورضوى مدرسة الثانوية بنات، وأوصى شقيقيه بمتابعة البنتين بين الحين والآخر، ورغم عرض شقيقه زهدى استضافتهما، إلا أنه شكره وفضل وجودهما فى شقتهما، لأنه كان يتوقع كم المشاكل التى سيسببانها لها مع زوجته التى لا تحتمل استضافة أقرب أقاربها لساعات ..

انتهت الإجازة ــ وعادت الأسرة إلى البحرين، بعد أن ترك الأب لبناته، عدة آلاف من الجنيهات لمواجهة المصروفات العديدة اللازمة لاحتياجات المعيشة والدراسة والمصروف الشخصى، كما كدست الأم كماً كبيراً من المواد التموينية لتخفيف عبء التسوق والشراء عن ابنتيها، ثم بدأت الدراسة فى ظل جدية تامة من الفتاتين.

كانت ريهام تعود من الجامعة فى المساء ثلاثة أيام كل أسبوع .. بينما كانت رضوى تعود من المدرسة – فى الأيام التى تذهب إليها – عند الظهيرة. كانت تستذكر ساعة أو ساعات، لكنها كانت تعانى من الوحدة فى أيام الشتاء القاتمة، فاعتادت استئجار أحد أفلام الفيديو من محل فى نفس الشارع الذى تسكن فيه فى حى المنيل، وكانت فى بعض الأيام تعيد الفيلم فتستبدله بآخر لتشاهده فى نفس اليوم .. ومن خلال ترددها على المحل، وحوارها مع صاحبه وسام حول موضوع الفيلم ومدى توافقه مع ما تفضله من الموضوعات نشأ بينهما ود، ونوع من التبسط فى الحوار؛ بدأ باختيار وسام للأفلام التى تشاهدها، وتطور إلى مناقشات حول قصة الفيلم والتعليق على بعض المشاهد، لذلك بدأ وسام يختار لها أفلاماً تقوم على الإغراء والمشاهد الساخنة، وتطورت المناقشات حول هذه المشاهد إلى التصريح بعبارات وتعليقات فيها من الجرأة وعدم التحفظ ما شجع وسام على إختيار جرئ؛ حيث أعطاها فيلمين: أحدهما عاطفى، والثانى فيلم من أفلام الجنس الصريح الملئ بمشاهد العلاقة الحميمية الفجة.

فى اليوم التالى رآها وسام مقبلة فى إتجاه المحل وفى يدها كيس توقع أنه يحوى الفيلمين، فتوتر قليلاً توقعاً لرد فعلها، واستعد للرد على انفعالها – إن فعلت – بأنه يحتفظ بعدد قليل من هذه الأفلام لمواجهة طلب بعض الزبائن، وانه أعطاه لها على سبيل الخطأ، ويعتذر لها عن ذلك، لكنه فوجئ بعتاب فيه من الرضا والإستحسان أكثر مما يعبر عن النفور والإستهجان بدأ فى صيغة سؤال:

- هو الفيلم اللى معليهوش اسم ده، ينفع تديهولى يا وسام؟

تنفس وسام الصعداء ورد عليها؛ لا بالإعتذار، وإنما بانتهاز الفرصة التى قصد الوصول إليها:

- بينى وبينك الناس عندنا بيتجنبوها، والمجتمع بيحط راسه فى الرمل. يعنى دى أفلام بيعملوها فى الدول المتنورة كأفلام تعليمية عشان الشباب يعرف العلاقات اللى حايمارسوها بعد الجواز.
- يا سلام دى سبهللة بقى طيب مايدرسوها فى المدارس!
- وليه لأ، بقى لما يدرسوها الشباب فى المدارس من ضمن الأحياء مش أفضل بالنسبة لتقاليدنا من اللى بيعملوه فى الغرب لما الشباب والشابات يعملوا علاقات حقيقية كاملة قبل الجواز ويعتبروها إختبار للطرفين؟
- لأ. إنت المناقشة معاك تودى فى داهية يا وسام، غيرلى الفيليمن خلينى امشى.

وبسرعة – ودون أن يحاول إطالة الوقت إستكمالاً لإحكام الشبكة حولها – غير الفيلمين وبعد أن عادت إلى البيت وقامت بعرض الفيلم الأول، وجدته أكثر جرأة، وحين عرضت الثانى اكتشفت أنه هو الآخر فيلم جنسى خالص .. شاهدت الفيليمين لأكثر من مرة، وأدمنت هذه النوعية من الأفلام، وتأكد وسام من إدمانها ونجاح الخطوة الأولى والرئيسية من خطته.

تقدمت المصارحة بينهما حتى قالت له عند استبدالها الأفلام:

- ياريت تدينى فيلم نضيف أظهره فى البيت علشان أختى لو حبت تتفرج تبقى المسألة عادية. وأسعدته هذه الملاحظة التى تأكد منها درجة إدمانها رغم علمها والتصريح بأن ما تفعله لا يجوز أن تعلم به شقيقتها.

مع مضى الأيام، وتنامى المصارحة بينهما تواعدا، والتقيا، ودعاها وسام إلى عرض سينمائى لفيلم عاطفى، علقت بعد مشاهدته ساخرة:

- رجعتنا سنة أولى يا وسام. هى الناس بتتقدم ولا بتتأخر؟!

- وأمن وسام على رأيها مضيفاً:

- معاكى حق يا رضوى. إحنا كبرنا قوى على كده وأوعدك ما أعملش كده تانى ..

ضحكا طويلاً، واطمأن هو إلى نجاح خطوات جديدة من خطته، وأوصلها إلى باب بيتها، وحينما هم يرافقها فى الصعود إلى شقتها استوقفته بإستنكار ودهشة:

- إنت رايح فين يامجنون؟ أختى فوق، وحتى لو مش فوق. دا إحنا مولودين هنا، وكل الجيران عيونهم علينا .. ياللا باى. طريقك أخضر.

أطمأن وسام إلى أن الطريق بعيداً عن منزلها وعيون شقيقتها وجيرانها قد بات ممهداً.

فى الزيارة التالية لمحله، وبعد استبدال الأفلام، سألها بطريقة مفاجئة:

- إنت فين بكرة الصبح يارضوى؟

- حاكون فين؟ فى المدرسة طبعاً.

- لأ بلاش المدرسة.

- ليه؟

- من غير ليه. حاقابلك عند أول كوبرى الجامعة الساعة تسعة. وعامل لك مفاجأة.

- هى إيه المفاجأة؟

- ياسلام؟ وتبقى فين المفاجأة؟ يللا روحى .. وأشوفك الصبح ..

فى الزمان والمكان وفى ملابس المدرسة كان لقاؤهما، ثم أوقف سيارة تاكسى، دفعها فيها برفق وحين سألته إلى أين أومأ برأسه فى اتجاه السائق ووضع سبابته على فمه محذراً لها من الكلام.

سكتت، وفى شارع الهرم أمر السائق بالوقوف وتركا التاكسى، ووضع يده على كتفها بينما سارا على الرصيف وقال لها فى إختصار:

- المفاجأة اللى قولتك عليها. فيلم ما نزلش مصر، فى شقة واحد صاحبى معايا مفتاحها وعشان الفيلم ده هدية من واحد جايبهولى من سنغافورة، خليته للعرض الخاص ومش حانزله المحل عشان التداول وكتر التشغيل بيبوظه.

وترددت قليلاً فى مرافقته إلى شقة منفردين لكنها عبرت عن ذلك بطريقة عكسية، سهلت عليه مأموريته:

- ودا معقول نتفرج على فيلم كده مع صاحبك؟

طبعاً مش معقول، وأنا مش مجنون عشان أجيبك تتفرجى على فيلم من الأفلام دى وصاحبى معانا. أنا قلت لك إنى معايا المفتاح. ما تقلقيش.

وفى الشقة، تخففا من بعض ملابسهما واضجعا فى أوضاع مريحة تلائم متابعة العرض المشوق .. وأدار الفيديو .. ومن أول لقطات الفيلم اقتربت منه حتى أصبحت فى أحضانه وتمددا متجاورين، وكلما تقدمت الأحداث، كلما تلاصقا، وتعانقا، وتبادلا سيلاً من القبلات الحارة .. ثم .. سقطت فى بحر العسل.

تكررت اللقاءات المحرمة حتى لم يعد أى منهما قادراً على التوقف، ولاحظت شقيقتها تصرفاتها وبدأت توجه لها اللوم، حتى أمضت ليلة خارج المنزل، وحضرت فى الصباح منتشية وحين سألتها ريهام أين كانت ردت عليها:

- سيبنى دلوقت أنام، ولما ترجعى من الكلية أحكيلك.

ولم تذهب ريهام إلى الجامعة؛ وحين استيقظت رضوى قصت عليها قصتها بوضوح دون أن تسالها، ولم تعرف ريهام ماذا تقول أو كيف تتصرف، لكنها اكتفت بسؤال يطمئنها:

- طيب ولو حصل ..

- وقاطعتها رضوى قبل أن تكمل السؤال: مش حا يحصل، إحنا مرتبين كل حاجة، أنا حريصة. أطمنى ما فيش فضايح.

- فضايح؟ هو فيه إيه أكتر من كده فضايح؟ إنتى فكرتى فى نهاية الكلام ده إيه؟

- أيوه .. واتكلمنا، واتفقنا. إحنا حانتجوز يا ريهام، بس فى الوقت المناسب.

- تتجوزى مين؟ مين دا يارضوى؟ بيشتغل إيه .. مؤهله إيه؟ مستقبلك معاه إيه؟ وانت حاتكملى دراستك ولا كبيرك الثانوية العامة، لو أخذتيها؟ يادى المصيبة!

فى الأيام التالية - ويبدو أن ذلك كان بإيحاء من وسام - حاولت رضوى عرض فيلم من تلك الأفلام فى وجود ريهام؛ فشتمتها، وأوقفت الفيديو وهددتها:

- لو جبتى فيلم من الأفلام الوسخة دى تانى، حاكسر الفيديو، وحابعت أقول لبابا.

- لا .. لا والنبى لا بابا، ولا ماما. إحنا كده كويسين وخليكى فى سكتك ياست الشيخة.

فى الأجازة التالية، وفى جلسة ضمت أفراد الأسرة، فاتحهم الأب:

- إيه رأيكم يا أولاد، عمكم زهدى كلمنى إمبارح .. ابنه على عايز يخطب ريهام وأول ما تخلص الجامعة يكملوا الجواز، والظريف إنه بيقوللى إن فايز ابن عمكو صالح عايز يخطب رضوى، وعايز أعرف رأيكم علشان أرد عليهم.

ردت ريهام بحسم:

- يابابا .. انا ما اقدرش أفكر فى كلام من ده قبل ما أخلص الجامعة، وأى خطوبة ولا كتاب بكل تأكيد حايشغلنى ويعطلنى، ياريت يا بابا تعتذر لهم، وتأجل الكلام دلوقت.

- وردت رضوى بعبارة قاطعة:

- انا لسة حا ادخل الجامعة يا بابا. يبقى لأ.

وأقفل الموضوع، وانتهت الأجازة وعادت الأسرة إلى البحرين، وسارت أمور الفتاتين على منوالها مع تغير بسيط فى حياة رضوى فقد التحقت بأحد معاهد التعليم العالى بعد أن أخفقت فى تحقيق مجموع يسمح لها بدخول الجامعة.

اعتاد وسام حياة زوجية كاملة مع رضوى، واعتادت هى هذه الحياة، لكنها بدأت تستشعر الخطر من المستقبل إذا استمرت هذه الحال، فلن يكون لديه دافع للزواج الذى تعاهدا عليه، وهى لن تحتمل أن تكون هذه هى حياتها للأبد. فحياة الظلام معرضة للإفتضاح إذا لاح شعاع من نور ولو بالصدفة أو على سبيل الخطأ. بدأت رضوى – للمرة الأولى – تخطط لتصحيح ذلك الذى استمر لعام ونصف العام، فبدأت تباعد بين لقاءاتها بوسام، تسوق الحجج تلو الحجج، فريهام تضيق عليها حيناً، ومواعيد الدراسة بالمعهد حيناً آخر، وزيارات عميها – المتوقعة – تقلل من فرصها للقاءات التى تحبها وتشتاق إليها، ونجحت خطة التشويق فى الضغط على وسام، حتى بدأ يشاورها فى أسلوب التقدم لوالدها لطلب يدها فى اجازة الصيف التالى، وبغريزة الأنثى ضاعفت من التدلل وتوسيع الفاصل بين اللقاءات حتى كادت تتوقف .. وكانت تعانى، ولكن استثمار النجاح الذى حققته على طريق تحقيق الهدف، ضاعف من قدرتها على التحمل، فأكملت ما بدأت باقتدار ..

حل الصيف، وعادت الأسرة إلى القاهرة، وبدأ العاشقان يضعان اللمسات الأخيرة فى خطة العرض على الوالد، واستعانت رضوى بريهام فى إقناع والدها، وحين سألتها عن إمكانية إقناعه بزواج الصغرى قبل الكبرى أجابتها رضوى:

- الدراسة فى الجامعة محتاجة تركيز عن الدراسة فى معهد .. وانت داخلة سنة ثالثة يعنى المسافة قربت، إنما انا لسة داخلة ثانية ومعايا مادتين يعنى المشوار طويل ..
- يعنى حا نرتب كلامنا مع بابا على الإعتراف والتسليم بفشلك، يعنى ضربوا الـــ ..
- بصى يا ريهام، الأعور .. المفتح .. انا مافيش قدامى إختيار، وإن ما اتفقناش على الجواز - إن شاالله كتب كتاب - أنا ممكن انتحر.
- تعمليها، ما أنت قادرة .. على أى حال، ربنا يسهل، وانا حا اعمل اللى اقدر عليه وحا استعين بماما عشان نبقى إحنا الثلاثة بنزق على مطلع، لأن بابا مش سهل يوافق على جوازك قبل ما تخلصى دراستك كمبدأ، والأكتر إنك تتجوزى من سى وسام بتاعك ده ..

وبدأ السير على كل الدروب، وفاتحت الأم زوجها فى الأمر فاندهش متسائلاً:

- وإيه سبب الإستعجال؟ هى كبرت فى السن ولا جايلها عريس لقطة؟

وتوالت الجلسات والضغوط، مع مقاومة الأب، بدأت الحجج المساقة تفصح عن ضرورة تفرض نفسها مما يوحى بخطأ أو خطيئة سقطت فيها ابنته، تغير أسلوب الأب الحليم فى معاملة إبنته من الإهانة إلى الضرب، ثم الضرب المبرح، حتى اعترفت إبنته بوقوع الخطأ بيد أنها لم تكن لتجرأ فى الإفصاح عن

الحقيقة كلها .. وأنهار الأب، ورفض الكلام ليومين وبعض يوم، وجزعت الأم كثيراً، فحاولت أن تكسر صمته بكل أسلوب، حتى قال لها:

- حسبى الله ونعم الوكيل. كنت بافتكر إن بناتى مؤدبين ومحافظين على أنفسهم، وكنت بضرب بيهم المثل، وفاكر إنهم حايشرفونى، وادى النتيجة؛ عار مش عارف أواجهه إزاى؟

- قالت الأم:

- إحنا فـ مصيبة، بس الحمد لله، إن الولد متمسك بيها وعايز ييجى يطلبها منك.

- وهى دى مش مصيبة، إنى أعيش لما أحمد ربنا على إن ولد زى ده حا يتنازل وييجى يطلب بنتى؟

- خلاص يا مجدى، اللى بيشيل قربة مخرومة بتخر على دماغه، نجوزهاله وإن شالله يتنيلوا على عينهم سوا.

- هوا أنا عاد فى إيدى أقرر حاجة، وأوافق ولا ما أوافقش؟ قول لها تتنيل وتقوللوا ييجى أشوفه، وأشوف حا نعمل إيه.

وكأن الأم - مع كل المرارة فى قلبها وفى حلقها - قد ظفرت بغنم عظيم، فخرجت تزف إلى بنتيها موافقة الأب، وانطلقت رضوى تبشر وسام بالخبر وتحدد معه موعد اللقاء .. وفى الموعد حضر وسام فى أبهى زينة، وأروع مظهر والتقاه مجدى منفرداً بدون حضور أى من أفراد الأسرة حتى زوجته نادية، فبدأه بطلب:

- ممكن تعرفنى بنفسك بس ياريت بالتفصيل؟

- أنا إسمى وسام أحمد عبدالغنى، سنى ٢٦ سنة وكام شهر، والدى ووالدتى متوفين .. عندى أنا واخويا عمارة خمس أدوار، وفاتح محل فيديو وشرايط والحمد لله بيكسب كويس.

- ما قولتليش معاك شهادات ولا لأ؟
- انا معايا إعدادية زراعية.
- ما شاء الله .. وعرفت بنتى إزاى؟
- والله ياعمى هيا كانت بتيجى تغير شرايط من عندى، وأنا لاحظت أنها مؤدبة ومحترمة ودا اللى قربنى ليها، عشان كده أنا طلبت منها إن حضرتك لما تيجى تعرفنى عشان آجى أقابلك واطلب إيدها، وأتمنى موافقتك .. واللى تطلبه ياعمى انا سداد برقبتى إن شاء الله ..
- أنا مش حا اطلب حاجة .. إحنا نكتب الكتاب، وحاتاخدها تعيشوا مطرح ما انتو عايزين بإمكانياتك، كتيرة .. شوية .. زى ما انتو قادرين ..

اتفقا على اليوم والساعة حيث التقيا ومعهما رضوى وحدها، وانتقلوا إلى مكتب مأذون شرعى حيث تم عقد القران، وعلى باب المكتب، تركها الأب، ومضى عائداً إلى منزله، بينما اتجه العروسان إلى شقة العريس؛ أثاث متواضع مستعمل، وعد وسام بإستبداله، وأجهزة محدودة، اتفقا على إستكمالها، قضيا ليلتهما، ثم سافرا فى اليوم التالى إلى الإسكندرية لقضاء فترة شهر العسل.

ومرت الشهور؛ سعادة ينغصها مقاطعة الأب وفرضه لهذه المقاطعة على الأم والأخوة، وبداية ذهاب السكرة ومجئ الفكرة، فدخل وسام من المحل وإيجار ما يعادل شقة ونصف كان كافياً لمواجهة نفقاته، ولكنه غير كاف لمواجهة نفقاتهما معاً والصرف على دراستها بالمعهد، ومواجهة تكاليف الولادة بعد شهور قليلة ..

ومع مضى الأيام، ومع الحمل الثانى، وانصراف الناس عن الفيديو لتوافر عشرات القنوات الفضائية ومنها قنوات متخصصة للأفلام والمسرحيات، ضاق الحال، وطلب وسام من رضوى ترك الدراسة بالمعهد، واختلفت معه بعد أن أصبح أمامها عام دراسى واحد، وأن حصولها على البكالوريوس قد يوفر لها

فرصة وظيفة تساعدهما على مواجهة متطلبات الحياة، لكنه أصر وفرض عليها ما أراد، وبدأت المشاكل والخلافات، وتجرعت من شظف العيش مقارنة لحياتها مع أبيها ما ولد فى نفسها بدايات الندم، لكنها كانت تعلم أن البكاء على اللبن المسكوب لا يفيد سوى شماتة من نصح عند البداية مثل شقيقتها ريهام، فكتمت ذلها الذى بدأ يتزايد بسرعة فى نفسها، وبدأت كرامتها تنسحب بإطراد حيث تضاعفت عصبية وسام كلما ضاق به الحال، ومع قدوم المولود الثالث، توفى والدها .. وكان قد وزع تركته على زوجته وعلى ريهام ورامى وروان، وخص زوجته بنصف ثروته لعلاج مرض الذئبة الحمراء الذى أصابها، وسرعان مالحقت به الزوجة، وتواصل الأشقاء مع رضوى، ولم يرحب بهم وسام حيث كان دائم الهجوم عليهم وعلى والديهم معايراً لرضوى:

- أنا عمرى ما شفت ناس يقاطعوا الراجل اللى ستر عليهم ولم لحمهم.
- وكانت رضوى تتألم وهى تصحح له ..
- هو انت سترت على عملة غيرك؟
- يعنى زى ما سلمتينى نفسك كان ممكن ده يحصل مع غيرى، وكان ممكن بعد ما أخدت اللى أنا عايزه، إنى أتجوز غيرك، يبقى مايكونش دا جزائى إنى طلعت جدع.

وكانت تبكى وتكتم حسرتها فى نفسها. يأساً وعجزاً وألماً. لم يكن أمامها بديلاً لهذه الحياة، فمن بدأ يتواصل معها من الأهل، لم يكن مستعداً أن يشاركها فى سداد فاتورة الخطأ الفادح الذى ارتكبته هى وحدها .. تسربت سنوات العمر وتحولت رضوى إلى إمرأة تنجب الأطفال وترضعهم وتتولى كل أمورهم من تربية وشرح لما صعب عليهم من الدروس، وزوجة تطهى الطعام وتغسل الملابس، وتتهيأ لزوجها النهم فى رغبته، رغم إيذائها المتكرر والذى وصل إلى إعتياد ضربها أمام أبنائها الأربعة الذين أجتازوا مرحلة البلوغ، وراقب الأهل

والمعارف حالتها على أنها درجة مستغربة من استعذاب الألم، وبدت – بالنسبة لشقيقتها التى تربت معها فى نفس البيت وتحت نفس الظروف كخادمة مقارنة بسيدة مجتمع، لم يشتر لها زوجها خلال خمسة عشر عاماً أى قطعة ملابس أو حذاء، وتعيش وأولادها على ما يتقادم لدى شقيقتها وبنات خالاتها، ولم يستشعر زوجها حرجاً من ذلك، ولم يستشعر انتقاصاً من رجولته وهو يخصص نصف دخله لشراء علب السجائر المستوردة وقضاء الوقت فى المقاهى حتى تدهور حال الأسرة، وشب ولديه على ما عودهما أبوهما من نطاعة، وعدم تحمل للمسئولية، وابتزاز للأهل ..

بلا مقدمات، ودون توقع من أحد، تركت رضوى المنزل، وسافرت إلى دمياط حيث تعيش شقيقتها ريهام حياة رغدة طيبة رحبت بها، وسألتها عن أولادها، ولمَ لمْ يحضروا – وخاصة الصغيرين – معها، فأخبرتها أنها تركت البيت لهم جميعاً ولن تعود، عبثاً حاولت الأخت إثناءها:

– يا رضوى انا مش بقولك إرجعى عشان جوزك كويس .. بس إنتى اتأخرتى قوى، وبقى معاكى أربع عيال أصغرهم عندها خمس سنين، وحتى الكبار بقوا شباب والموقف كده محرج لهم.

– هما زى أبوهم، ماعندهمش دم، ولا بيتحرجوا ولا بيتنيلوا على عينهم. أنا قررت ومش راجعة. أنا أتاخرت قوى؟ أيوه .. لكن خلاص ما عدش عندى ذرة إحتمال، ولو اضطريت ارجع، حا انتحر.

– طيب وإيه موقفك دلوقت، يعنى هربانة؟ زوجة ناشز؟ إيه؟

– مش مهم الإسم. المهم أنا مش راجعة، وحارفع عليه قضية خلع ..

– حاول وسام البحث عنها، وتخفت بأكثر من وسيلة بينما وكلت محامياً لرفع قضية الخلع ..

شعر وسام بقيمة رضوى بعد إفتقادها الذى لم يتخيل وقوعه بعد كل هذه السنوات وحاول الإتصال بكل من يمت لها بصلة راجياً، ومستجدياً، لكن الجميع تخلوا عنه، وساعدوا رضوى على الإختفاء.

وفى الجلسة الثانية من القضية، طلبت من القاضى التحدث فأذن لها. قالت:

- ياسيادة القاضى، أنا غلطت واتحكم علىّ بالأشغال الشاقة المؤبدة، ونفذت الحكم اثنين وعشرين سنة خدمة وجوع وحرمان وضرب وإهانة. فيه واحدة تقعد عشرين سنة من غير جوزها ما يجيب لها فستان واحد أو جوز جزمة؟ فيه واحدة تتحمل الضرب قدام عيالها من غير سبب كل يوم تقريباً؟ أنا وصلت لآخر خطوة على طريق الحياة وأصبحت حاسة إنى مش عايشة وإن الموت أريح من العيشة دى، أبوس إيدك تخلصنى من الراجل ده، وأنا مش عايزة منه أى حاجة ومتنازلة عن كل حقوقى، حتى الأولاد مش عايزاهم علشان هما أولاده.

بعد جلستى إجراءات، حكم لها القاضى بما طلبت، وأصبحت حرة لأول مرة منذ أكثر من عشرين سنة، لم تكن تملك قرشاً واحداً لكنها أحست أنها أغنى منها عن أى يوم مضى ..

خرجت من المحكمة، وسارت لأكثر من عشرة كيلو مترات على قدميها حتى وصلت إلى بيت إحدى خالاتها وكأنها تتنسم هواء الحرية - وبإرادة منها - قررت الا تشغل نفسها فى ذلك اليوم بغدها وماذا ستفعل أو كيف ستعيش. أخذت تشاهد الشوارع والمحال .. وتتفرس فى وجوه المارة وكأنها تشاهد بشراً لأول مرة .. لقد ملأت عينيها ونفسها ورئتيها من عالمها الجديد، وأملها الوليد، والهواء الذى يتنفسه الناس.

* * *

منتهى حلمى

رغم إستئثاره بنصف ما يكسبه والده؛ صاحب الكشك البسيط من بيع البسكويت والشيكولاته والمشروبات وعلب العصائر، فلم يكن كمال راضياً. كان دائماً ما يطلب المزيد ليواجه مصروفاته كطالب فى الجامعة، يعيش وحده فى حياة مستقلة فى مدينته غير المدينة التى يسكنها أهله، وحين كان أحد والديه يعتذر له لضيق ذات اليد لمسئوليتهما عن تربية سبعة من الأولاد والبنات غيره كان ينهرهما:

- وحد قال لكم تخلفوا ثمانية؟ كان كفاية اتنين ولا تلاتة عشان نعرف يادوب نعيش.

ولما ضاقت واستحكمت، كان قرار الوالدين بالإكتفاء بما تحصل عليه حلمى؛ الإبن التالى من التعليم وحسبه أن تعلم القراءة والكتابة، ووصل إلى السنة قبل النهائية فى المرحلة الإعدادية، وألحقه أبوه فى ورشة كهرباء السيارات القريبة ليتعلم حرفة يتكسب منها ويساعده على إعالة شقيقه الأصغر وشقيقاته الخمس.

ولم تُجدِ محاورة حلمى، ومحاولته تأجيل تنفيذ القرار للعام التالى إلى أن يحصل على الإعدادية، فقد خشى الأب أن يشجعه الحصول عليها على أن يطلب إستكمال المرحلة الثانوية، ثم يكون الهدف التالى هو الجامعة، وحسب ما عبرت عنه الأم فإن "خبطتين فى الراس توجع" فكفاهما كمال وما يلاقيان منه.

استسلم حلمى، ولم يكن أمامه بديلاً، وأصبح عاملاً يرتدى ملابس عمل يعلوها الزيت والتراب، ويداه مكسوتان دائماً بشحم وزيت .. وكم كان يتألم حين يرى شقيقه الأكبر مهندماً. أنيق الملبس يستبدل الأطقم الأنيقة مرتان خلال إجازته التى لا تزيد عن يومين.

وتردد شهاب مع والده على الورشة التى يعمل فيها حلمى لإصلاح ومتابعة سيارة الأسرة، فأحس من خلال تعامله مع حلمى بنفس كسيرة، واستنتج وجود مأساة فى حياته، وسمحت الظروف، يوم كانت سيارته هى الأخيرة قبل انتهاء يوم العمل، وانصرف حلمى بعدها فسار معه شهاب، وطلب منه أن يحكى له حكايته. وكأن حلمى كان ينتظر أن يطلب منه أحد – وخاصة شهاب الذى يكبره بسنتين فقط – أن يحكى، لكى يلقى بما يرهق قلبه الصغير .. فروى بالتفصيل واستمر فى حكايته حتى وصلا إلى بيت شهاب فاستضافه، وأكرمه، ووعده بأن يساعده فى حل مشكلته.

تخلف شهاب يوماً عن مدرسته الثانوية واتجه إلى المنطقة التعليمية حيث سحب استمارة الإمتحان للشهادة الإعدادية بنظام المنازل، ومر على الورشة التي يعمل فيها حلمى حيث طلب منه أن يمر عليه فى المنزل بعد انتهاء العمل بالورشة، وحين حضر حلمى؛ فاجأه شهاب بالإستمارة، وطلب منه ملء بياناتها وطمأنه إلى أنه سيقدمها للمنطقة ويسدد الرسوم، وأن عليه أن يستغل أى لحظة فراغ، وأيام العطلات لمراجعة المواد الخاصة بكل سنوات المرحلة الإعدادية، وألا يتردد فى زيارته لتذليل أى صعوبة، وخاصة اللغة الإنجليزية التى لم يُحصّل فيها سوى أبسط المبادئ.

لم تكن فترة الشهور المتبقية إلى الإمتحان كافية لإستيعاب كل هذا الكم من المواد، ومع ذلك نجح حلمى فيها جميعاً عدا اللغة الإنجليزية، وسعد شهاب وهنأه على ما حققه مما يعد نجاحاً عظيما، وأنه ضمن الحصول على الإعدادية فى العام التالى، ومعنى ذلك حصوله عليها فى نفس العام مع زملائه المستمرين فى الدراسة. وقد كان؛ مر العام وحصل حلمى على الإعدادية، وفى لقائه مع شهاب استعرضا بدائل التصرف فى المرحلة التالية، وتوصلا إلى الإلتحاق بإحدى

مدارس القوات المسلحة ضماناً للمرتب والإعاشة، والإستقلال عن بيت بعيد عن العدالة.

كان شهاب يسكن فى الطابق الثانى من بيت فسيح يرتفع أربعة طوابق؛ فى كل طابق شقتان، وعلى سطحه، مجموعة من الغرف والمرافق، وكان حلمى يتمنى أن تسكن عائلته فى نفس البيت، لتميز مستواه، وليكون قريباً من شهاب الذى أحبه، وقدره .. ولسبب ثالث لم يكن قد أيقن حقيقته أو مداه: سميرة أو إحسان – لم يكن متأكداً؛ أيهما اسمها – فهما شقيقتان تسكنان مع أبيهما، وزوجته فى إحدى شقتى الدور الأول فى نفس البيت الذى يسكنه شهاب، وكان يراها كلما زار شهاب إما فى بلكونة مسكنها، أو على باب الشقة أثناء صعوده أو هبوطه على السلم.

كان يحب رؤيتها وينتابه شعور خاص لم يحدده بدقة، فلقد استبعد أن يكون حباً، فأين هو منها؟! واستطاع شهاب أن يقنع والدته لكى تتحدث إلى والده؛ مالك العقار للحصول على موافقته لتأجير غرفتين من غرف السطح لأسرة حلمى .. وبالفعل وافق والده .. وانتقلت أسرة حلمى فى غمرة السعادة الفياضة التى ملأت على حلمى كيانه، ففى حركة واحدة حقق القرب من شهاب، وضاعف من فرص رؤية سميرة أو إحسان، وبالتأكيد سيحدد من منهما تكون فتاته.

ثلاثة شهور مضت، تقدم فيها خطوات على طريق تحديد مستقبله، وتدعيم علاقته بشهاب لكنه لم يتقدم خطوة فى علاقته بسميرة اللهم إلا تأكده من أنها الصغرى التى جذبت نظره واستهوته، وأن إحسان هى شقيقتها الكبرى.

فى يوم واحد غادر كل من شهاب وحلمى المنزل؛ الأول إلى القاهرة لدخول الجامعة، والثانى إلى التل الكبير حيث التحق بإحدى مدارس الجيش، وبسرعة تخرجت دفعته لمواجهة حاجة القوات المسلحة بعد مشاركتها فى حرب اليمن .. وكانت المراسلات بين الصديقين هى أسلوب الوصال الوحيد بينهما،

فتبادلا فيها أخبار كل منهما، وسؤال حلمى عن أخبار عائلته، وعن أخبار سميرة، وكان شهاب يرد بنوع من التهكم: "أما عن اخبار سميرة فما زالت تقضى وقتاً طويلاً فى البلكونة؛ إما جالسة ترقب الشارع أو تنشر الغسيل، أو على السلم أمام باب شقتها تتحدث إلى جارتها سهير .."، ثم يضيف بمزيد من التهكم:

- وأما عن أسرتكم الكريمة فتفيد معلوماتى المتواضعة، انها مازالت تتكون من والدك ووالدتك وشقيقك وأخواتك الخمسة، دون زيادة ..

عرف كل سكان البيت، والبيوت المجاورة أن حلمى أصبح ضابط صف يخدم فى اليمن ويتحصل على بدل سفر مغر لكثير من العائلات، وأصبحت أسرته تتابع أخباره وتتمنى له الصحة والعودة السالمة، وبالتأكيد فلهم - مع السعادة بعودته - انتعاشة مادية هم فى أمس الحاجة إليها ..

لكن الزمن سار ببطء، واستمرت خدمة حلمى باليمن، حتى تسلم شهاب خطاباً منه يقول فيه أنه أصيب إصابة بالغة فى ساقه وأن المستشفى العسكرى بصنعاء تتخذ الإجراءات لإيفاده فى إرسالية طبية إلى مستشفى الحلمية العسكرى بالقاهرة - ثم علم بوصوله، فزاره بالمستشفى، وتبادلا الأخبار والأشواق التى لم تخل من سؤال عن سميرة التى قد لا تعرفه أصلا، وسأله شهاب:

- إنت بتحس بإيه من ناحية سميرة ياحلمى؟!
- باحس إنى مش عارف أنا بحس بإيه.
- ما شاء الله. إنت زى اللى عرف الماء بعد الجهد بالماء.
- بجد ياشهاب انا حاسس إنى عايز آخدها فى حضنى بس!
- بس؟! إيه القناعة دى؟ وهى تاخدها فى حضنك دى تبقى بس؟
- مش عارف، آهو حلم وخلاص. أنت حاتحرم على الحلم كمان ياشهاب؟

- لا ياحبيبى .. إذا كان ع الحلم .. إحلم زى ما انت عايز .. لا الحلم بفلوس ؟ ولا عليه جمرك!

- وانتهت الزيارة، وبعد أسبوعين تقررت لحلمى أجازة مرضية لحين عرضه على القومسيون الطبى العسكرى الذى يقرر إستمرار خدمته أو إنهائها .. وقبل وصوله إلى بيته بيوم واحد، اخبر شهاب أسرته بموعد قدومه ..

وقفت الأسرة كاملة فى نافذتى غرفتيهم عل سطح المنزل، يرقبون الشارع حتى توقفت سيارة تاكسى أمام الباب ونزل حلمى، وإلى أن حمل حقيبته ودفع حساب التاكسى ثم صعد طابقاً واحداً يتكئ إلى عصا فى يده .. كانت العائلة قد هبطت السلم قفزاً أفزع السكان جميعاً ففتحوا أبواب الشقق يستطلعون الأمر، والتقى رمضان شقيق حلمى كطليعة للأسرة بشقيقه فى ردهة الطابق الأول فعانقه بشدة، وتوالى وصول الأخوات ثم الوالدة، فأخذ يعانقهم بشوق الواحدة تلو الأخرى، وخلال ذلك فتحت سميرة باب مسكنها المواجه لهذا المشهد، فوقفت تشاهد تلك اللحظات الإنسانية الرائعة، وعندما انتهى عناقه الطويل لوالدته كانت سميرة تقف إلى جوارها .. وفى غمرة الحماس وتوالى الأحضان، إحتضنها حلمى وقبلها. وفى نفس اللحظة وقعت عيناه على زوجة أبيها وقد وصلت إلى باب الشقة فعانقها بحركة تبدو تلقائية، فصعب عليها مساءلة سميرة .. بعد الظهر صعد شهاب للترحيب بحلمى الذى استأذن الجميع واختلى به ليبادره قائلاً بفرحة غامرة:

- شهاب. حضنتها!!

- ياراجل؟ معقول؟!

- مش بس هى - دا أنا حضنت مرات أبوها شخصياً!

***

عتريس فى باريس

عض إصبعه ليتأكد أنه يقظ، فلم يكن يحلم فى منامه أن يزور باريس، لكنه حين تردد فى قبول عرض صديقه الودود عبدالتواب، كان يؤخر قدماً، تخوفاً من خطورة حمل حقيبة بها بعض الملابس والعطور، نتيجة لما سمعه عن جيوب سرية فى الحقائب حملت الهيروين والكوكايين، وأودت بحامليها إلى غياهب السجون ثمناً لسذاجتهم وثقتهم العمياء فى تجار الشنطة، وكذلك تهيباً ورهبة من الحياة فى باريس .. وكان يقدم رجلاً تدفعه الرغبة الحميمة والإنبهار بكل ما سمعه عن باريس منذ قرأ عن رفاعة الطهطاوى، وحتى قرأ عن شخصية محسن فى قصة توفيق الحكيم: عصفور من الشرق.

فى النهاية – وثقة فى شخص عبدالتواب الذى سيرافقه بعد أن كرر التجربة مرتين لحساب تجار شرفاء يكتفون بربح تجارة (الشنطة)، وأنه سيشترى الحقيبة بنفسه ويشترى البضائع المطلوبة بنفسه، ويضعها فى الحقيبة بنفسه – فقد اطمأن ووافق؛ وحجز التذكرة ذهاباً وعودة بعد أسبوع .. وركب الطائرة .. وهبط فى مطار أورلى .. وبرفقة عبدالتواب؛ انتقلاإلى فندق بمستوى ثلاثة نجوم فى الميدان المطل على محطة ركاب الشمال.

كانت الأمطار لا تنقطع .. تنهمر بغزارة طول الوقت، وكان يتعجب من أنها لا تتجمع فى الشوارع التى تبدو وكأن عربة الرش التى تحدث عنها الطهطاوى غادرتها لتوها .. ورغم متعته الفائقة وهو يتابع هطولها من وراء زجاج نافذة حجرته بالفندق، إلا أنه قرر أن يقلد محسن – شخصية توفيق الحكيم – فوضع "كاسكيت" على رأسه، ورفع ياقة الجاكت وخرج من الفندق وسار خطوات تحت المطر، إلى أن دخل محطة القطارات ووقف على الأرض

المصقولة اللامعة، وارتفع ببصره إلى الجمالون الحديدى الهائل من فوقه، وتابع حركة وصول ومغادرة القطارات، والنظام المحكم فى حركة الركاب وخروجهم من المحطة وانتظامهم فى طابور فردى لإستقلال التاكسيات التى تتقاطر فى حركة منتظمة. ومع أنه كان يكره طابور الجمعيات التعاونية الإجبارى للحصول على دجاجة مجمدة، إلا أنه عشق منظر الطوابير الإختيارية التى لا تطول لأكثر من لحظات، دون تعد ولا خروج عن النظام.

أنجز عبدالتواب وعتريس مهمتهما فى شراء الحقائب والملابس والعطور المطلوبة من واقع الكشوف التى تسلماها من ممول الرحلة فى زمن قياسى خلال يوم واحد، حيث وجدوا فى محلات جاليرى لافاييت ضالتهم واشتروا العطور من منطقة الأوبرا، وأغلقوا الحقائب ليتفرغوا للسياحة.

فى الأيام القليلة التالية تنقلوا بين معالم باريس، فتجولوا فى شارع شانزلزيه أعظم وأجمل شارع فى الدنيا، طويل، عريض، ملئ بالحركة والجمال بكل صوره؛ النساء، والفتارين والمعالم.

بهرتهما الأضواء، وفخامة البضائع؛ وعلى قمتها المجوهرات، وأناقة المارة، والأشجار تفصل بين حارات الطريق الرئيسى والطريق البطئ، والأرصفة المنتظمة، وتحتها بالوعات تصريف الأمطار .. كل شئ جميل.

واستهواهما قوس النصر ليتوال، فصعداه رغم ارتفاعه وضيق سلالمه وحلزونيتها، وأطلا على سينما ليدو –أقدم دور العرض فى باريس – ومحلات بيع أفلام الفيديو، وانتهيا إلى ميدان الكونكورد حيث المسلة المصرية وأحسّا فخراً واعتزازاً بأنهما يشاركان فى ملكية جزء من باريس، وسمعا عن سنتر بومبيدو وهو مركز ثقافى عالمى؛ فانتقلا يزوراه، ولسوء الحظ؛ فقد كان الثلاثاء يوم راحته الأسبوعية وتعجب عتريس مخاطباً عبدالتواب:

فيه راحة أسبوعية يوم التلات؟ دا لا يوم جمعة زى الحكومة، ولا يوم حد زى الصنايعية، ولا اتنين زى الحلاقين والمكوجية. لكن تقول إيه؟ قليل البخت فى باريس يلاقى العضم فى الجاتوه.

وفى طريق العودة؛ وجدا نفسيهما فى شارع سان دينى. كان المعلم الوحيد الذى تعرفا عليه بسهولة؛ فقد شاهداه بالتفصيل من خلال فيلم " إيرما الغانية"، ولقد رأيا الصورة مطابقة تماماً؛ الغانيات يقفن أمام أبواب بيوت الدعارة فى أوضاع يرونها مغرية فتكشف كل منهن عن الأجزاء التى تراها أكثر إثارة من جسدها، وتتخذ وضعاً فى الوقوف يجذب الزبائن، وحين رق عتريس لوقفتهن شبه عاريات لساعات فى جو بالغ البرودة، وأشفق على أكثرهن عرياً وهى تضع فى فمها مبسماً طويلاً ينتهى بسيجارة هى الوسيلة الوحيدة الباعثة على الدفء، وقف أمامها وحاول أن يسألها عن ثمن هذه المعاناة، وفوجئ بموتوسيكل هارلى عليه "قبضاى" يقف بينه وبينها وعيناه تطلقان الشرر، فجذبه عبدالتواب وانطلقا فى الشارع إلى حيث صادفا ما يطلق عليه معدة باريس؛ سوق غنية مليئة بالخيرات من لحوم وخضر وفواكه.

وفى المساء تجولا قليلاً فى بيجال؛ حى الدعارة الرخيص، وعلى النقيض وقفا أمام مسرح مولان روج دون ان يجرؤا على الدخول فالسهرة مع العشاء والمشروبات تكلف الشخص الواحد خمسمائة فرنك أى ما يعادل ستين جنيهاً..

وفى اليومين التاليين زارا برج إيفل واكتفيا بصعود الدور الأول حفاظاً على حياة عتريس الذى ارتعد بردا عند ذلك الإرتفاع، وعبرا إحدى الكبارى على نهر السين تدفئ كفوفهما حبات أبو فروة المشوى الذى يباع عند رؤوس الكبارى، ثم إلى ميدان فيرسوفيا يطل عليه المتحف الوطنى للآثار الفرنسية، والمسرح الكبير وقاعة المحاضرات والبهو الفسيح ذو السلالم الباسقة تعلوها تماثيل رائعة، وانتقلا إلى "شاتيليه" حيث زارا سنتر بومبيدو والذى يبدو من

الخارج كمعمل تكرير للبترول حيث بنيانه على هيئة مواسير ضخمة بداخلها سلالم كهربائية، ومشايات لانتقال الزائرين.

وفى طريقهم مروا من جديد بشارع سان دينى. واقترح عبدالتواب شراء عبوتين من البطاطس وطلب من البائع إعدادها بالفعل، وفى نفس اللحظة لمح عتريس فى المحل المجاور تفاحاً رائعاً وضخماً مكتوب عليه: أربعة فرنكات للكيلو "فسأل بائع البطاطس عن ثمن العبوة، وأجابه بأنها بأربعة فرنكات فقال لعبد التواب:

- إشكره قبل ما يرمى البطاطس فى الزيت - نجيب بطاطس بثمانية فرنك ولا تفاح بأربعة؟ إحنا شبعانين بطاطس فى مصر. وبنشوف التفاح فى السيما.

استمرت أيام المتعة، فشاهدا الأوبرا ومتحف اللوفر وكنيسة نوتردام، وزارا نصب الجندى المجهول لضحايا غزو النازى وجامعة السوربون فى شارع المدارس، وتجولا فى أنحاء الحى اللاتينى وجلسا فى إحدى المقاهى الشهيرة على رصيف الشارع، وشاهدا الرسامين يرسمون لوحـــاتهم فى الطريق، والفنانين يعزفون ويغنون، ويضعون أمامهم أطباقاً لتلقى العملات من المارة..

خلال زيارتهما لمتحف اللوفر، شاهدا لوحة الجيوكاندا "موناليزا" فى خزانة زجاجية وإلى جوارها حارس ولوحة مكتوب عليها "ممنوع التصوير" ورغم إعجابهم باللوحة إلا أن عتريس علق قائلاً: بذمتك ياعبدالتواب لو اللوحة دى عندنا مش كانوا حطوها فى المخزن؟ الجماعة دول بيهولوا قوى، دا لو كان عندهم قناع توت عنخ آمون كانوا كتبوا عليه: ممنوع المشاهدة!

وكادت الرحلة أن تنتهى؛ لم يبق منها سوى يوم، وبعض يوم، وأبدى عبد التواب ملاحظته بأن أسعار الطعام فى باريس أرخص من القاهرة فوجبة كباب

للفرد كلفتهم ثلاثة جنيهات، والبيضة بأقل من عشرة قروش وكيلو اللحم الممتاز بخمسة جنيهات، وسأله عتريس:

طيب ما شفناش الرنجة بكام؟ انا عينى زاغت امبارح على صندوق رنجة نرويجى وبصل أحمر إيطالى فى محل جنب الفندق.

يعنى انت جيت فى جمل؟ تعالى ياعم عتريس نشترى أكلة بشبعة. إحنا الرنجة عندنا فى مصر بقى شكلها وحش، ونوعها مش ولابد.

انتقلا إلى البقالة .. ثم إلى المخبز وعادا إلى الفندق بلفافة محكمة تحوى الرنجة والبصل وعدد كبير من أرغفة الخبز، وفى حجرتهما، فتحا اللفافة ووضعاها على موكيت الأرضية، وصاح عبدالتواب:

- آه .. راحت السكرة .. وجت الفكرة.

- فيه إيه؟

- أنا ما اعرفش آكل الرنجة من غير ما تتشوى.

- غالى والطلب رخيص ياعُبد.

ورفع عتريس لفافة الرنجة وكل الجرائد المتناثرة فى الغرفة، ودخل إلى الحمام فأشعل الجرائد، وشوى الرنجة بقدر ما وفرت الجرائد من نار، حتى اشتعلت أرضية الحمام (الفينيل) فنهض بسرعة وسحب دورق المياه يلقى بمائه على النار، ويكرر هذه العملية مرات مع تركه للصنبور مفتوحاً لسرعة الملء. حتى ابتلت الأرض تماماً، فألقى ملء دورقين إضافيين ضماناً لعدم إشتعال النار من جديد.

جلس الرفيقان، يلتهمان وجبة الرنجة بشهية .. وقبل أن يكملا المهمة، سمعا طرقاً على باب الغرفة، فسكتا عن الكلام وامتنعا عن فتح الباب، لأن الوضع بالداخل يشكل عورة لا ينبغى لأحد أن يطلع عليها.

وما أن انتهيا من الطعام ولف البقايا ووضعها فى سلة المهملات حتى سمعا طرقاً شديداً وسمعا نداءً تحذيرياً: بوليس! ارتبكا .. ولم يعرفا السبب، وسمعا كلمة: ماستركى، وبعدها بلحظة وقبل أن يصل عبد التواب إلى الباب لفتحه، فوجئا بفتح الباب، وتقدم شرطيين، ومن خلفهما موظفوا الفندق. وهدد أحد الشرطيين:

- لا أحد يتحرك. سلموا أنفسكم بهدوء.

استسلما دون حركة خشية أن ينتج عن عدم فهمها للمطلوب بدقة، أو التصرف غير المنضبط ان يتعرضا لخطر. ودخلت الشرطة تفتش الغرفة، ويزداد قلقها من انبعاث رائحة لا تفسير لها، حتى دخلوا إلى الحمام ونادوا موظفى الفندق الذين سبق إبلاغهم عن دماء غزيرة تسيل من غرفة المصريين بالدور الثانى حتى بللت الموكيت خارجها وعدد كبير من درجات السلم مما يتوقع معه أن يكون بالغرفة قتيل.

بعد التحقيق والأسئلة للأطراف تبينت الحقيقة، أن الماء الذى أطفأ به عتريس حريق الرنجة سال مع الموكيت الأحمر، وأغرق الردهة والسلالم بما يشبه الدم.

وعندما سئل عبدالتواب وعتريس عن سبب الحريق، وأجابا أنه بسبب إشعال الجرائد لشوى الرنجة، وأخرجا لفافة النفايات للعرض والإثبات فسد الجميع أنوفهم وقاية من الرائحة، ووضع الشرطيان كمامتين واقيتين وكأنهما يخوضان حرباً كيماوية، واعتذر عتريس وعبدالتواب عن فعلتهما وتساءلا:

- ما دامت الرنجة تباع فأين تؤكل؟ !

وتنازل الفندق عن بلاغه، وتسامحت الشرطة لسلامة نية الجناة وما أبداه عتريس من أنه لم يتوقع أن تكون الأرضية فى الحمام قابلة للإشتعال، وأن نفسه الأمارة بالسوء هى التى استجابت لغواية الشيطان بشراء الرنجة المغرية.

ومازحه عبد التواب:

- اللى مش طبيعى إن يكون عتريس فى باريس، لكن الطبيعى فعلاً إن يكون عتريس فى البوليس

* * *

ما طار طير وارتفع

فى إجازته الصيفية السنوية؛ أبدى له صديقه الصدوق عرفان عدة ملاحظات، إعتذر له قبل أن يبديها بأنها ليست مما يقع ضمن حقوقه، ولكنه يعتبرها واجبات تفرضها الصداقة الحميمة التى تجمعهما، فإذا تقبلها، فليجعلها الله مصدر فائدة له، وإن رفض تقبلها، فليتقبل إعتذاره عنها، وعزاؤه أن مقصده من إسدائها كان الخير لصديق عمره؛ شكيب.

- قال عرفان: أنا عارف يا شكيب إن وظيفتك فى عُمان من الوظايف الكبيرة فى الحكومة، وإن عقدك، وعقد مراتك اللى إشتغلت معاك بيحققو لكم مبلغ – ما شاء الله – يوفر لكم عيشة طيبة، وتقدروا توفروا مبلغ شهرى .. كمان يمكنكم من عمل مشروع كبير فى مصر بعد رجوعكم، لكن عملياً، أنا شايف إنكم لا حا تعملوا مشروع، ولا حتى حاتقدروا تعيشوا كويس، وتكملوا تربية أولادكم بالشكل اللى انتو عايزينه.
- ليه كده ياعرفان ياحبيبى؟ دا الرسول بيقول: "بشروا ولا تنفروا"، دا الخير كتير بفضل الله.
- أيوة آهو الخير كتير دى هى مربط الفرس؛ إنت بتكلمنى بالحديث الشريف وأنا حارد عليك بالقرآن والإثنين واحد. ربنا بيقول: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا" صدق الله العظيم. إنت بتصرف على قد اللى داخل. مش على قد حاجتك، وإنت لا ضامن مستوى الدخل يستمر، ولا ضامن صحتك ولا عمر أى إنسان مضمون ساعة أو دقيقة. وانا قلقان عليك من موضوع الفيروس اللى إكتشفته ع الآخر.
- ياعم عرفان "وأما بنعمة ربك فحدث".

- "ثم لتسألن عن النعيم" أول ما تتسأل، عنه يوم القيامة حا تتسأل عن مالك مم إكتسبته، وفيم أنفقته.
- طيب موضوع الفلوس وعرفناه، وتعيد النظر فيه. إيه تانى يا عرفان؟
- من غير ما تزعل. ولادك. ولادك بيدخنوا وهما فى الإعدادى، ودا مش كلام لا صحياً ولا تربوياً، واللى بيدخن وهو فى الإعدادى، حا يحشش فى سنوى يا شكيب.
- ماشى ياعرفان .فيه حاجة كمان عن مراتى؟
- حانتريق، نبطل كلام. مراتك زى الفل وست الستات. بس قرايبك؛ أنا شايف إنهم بيستثمروك ألعن إستثمار. قصدى بيستغلوك، وجرب كده تخف إيدك عنهم، وتبطل ترش عمال على بطال، وتشوف رد الفعل، والمحبة الزايدة حاتقل ولا حا تصمد.
- يعنى بلاش أوسع على أهلى لما ربنا يوسع علىّ؟ دى صلة رحم يا راجل يا طيب.
- لأ ماحدش قال كده، بس بالعقل.
- ماشى يابوعرفان. الرسالة وصلت .. كفايانا بقى كلام وخلينا نفكر بقى حانتعشى فين؟
- لله يا زمرى. دا الرسالة ماوصلتش خالص. أنا مروح اتعشى فى بيتنا وأنام. وإنت روح اصرف لك ألف جنيه. وربنا يعوض عليك.

تكررت مثل هذه الحوارات بين الصديقين حتى ملّ شكيب، ويئس عرفان، فقررا - دون اتفاق - الإقلاع عن التحاور فى هذه الأمور حفاظاً على مستقبل علاقاتهما التى استمرت منذ الطفولة.

وانتهت أجازة شكيب وعاد وأسرته إلى عمان؛ شهور وجاء يوم أحس فيه ببعض الألم .. إزداد مع مرور الوقت، حتى أصبح غير محتمل .. رافقته

زوجته إلى الطبيب الذى طلب منه إجراء بعض التحليلات والأشعات لتأكيد شكوكه التى أثارها السونار الذى رأى منه ما أقلقه، وعندما عاد لاستشارة الطبيب وعرض نتائج التحليلات والأشعات، قرأ فى ملامحه ما أزعجه قليلاً فسأل الطبيب:

- خير يادكتور؟
- الحقيقة يا شكيب مش خير. وانا واجبى كطبيب أصارحك علشان نلحق نلتزم بخطة علاج عاجلة يمكن نقدر نحاصر المرض، ونمنع المضاعفات الخطيرة.
- هى إيه الحالة بالضبط يا دكتور؟
- شكيب .. إنت جاتلك بلهارسيا وإنت صغير؟
- أيوه يا دكتور .. ورغم إنى إتعالجت من زمان، حسيت ببعض الأعراض من سنتين، وعرضت نفسى على دكتور وماشى على أدوية، آدى الروشتات بتاعتها، وما كنتش حاسس بقلق لغاية الأسبوع اللى فات، لما جيت لحضرتك.
- إنت عندك فيروس (c)، وعندك الكبد تأثر بشدة، وعايزين نلحق قبل التليف ما يدمر كل حاجة، وإنت محتاج كمان لحقن دوالى المرئ ..

وخرج شكيب من عيادة الطبيب، وقد تضاعف إحساسه بالمرض، ويئس من علاج الأطباء فقد أمضى عامين، تطورت حالته خلالهما - تحت العلاج - إلى الأسوأ، وتردد ما بين العلاج بالقرآن، والطب النبوى أو هكذا أوهمه المتربحون من هذه المهنة، كما لجأ للعطارة، والتركيبات المكلفة، ولم يعد يطيق المرض مع الغربة، فقرر عدم تجديد عقده، وفور إنتهائه، حزم أمتعته .. بعد تصفية إرتباطاته فى عمان واصطحب أسرته وعاد إلى القاهرة.

كانت زوجته صفية قد فصلت من عملها فى مصر للغياب حيث رافقت زوجها دون الحصول على إجازة بدون مرتب للعمل بالخارج أو مرافقة الزوج، وكان إبناه؛ سامى وسمير فى الثانوية العامة، أما ابنته سلوى، فكانت فى السنة

الأولى للثانوية، بينما كانت ابنته الصغرى سهام فى الثانية الإعدادية. كان عليه أن يلحق الأربعة بالمدارس فى مصر، وأن يدبر لهم جميعاً الدروس الخصوصية فى كل المواد لمواءمة المناهج المختلفة، ولعام الدروس الخصوصية فى الثانوية العامة، وكان مصروف كل من الولدين يعدل مرتب موظف فى الدرجات الوسطى من السلم الوظيفى لمواجهة مصروفات الدخان، والوجبات الفاخرة خلال الساعات الطويلة التى يقضياتها خارج البيت ما بين المدرسة والدروس الخاصة.

وعاد شكيب إلى عمله فكان يتقاضى مرتباً يكفيه للعشاء مع أسرته خارج البيت، مرتان، ومع تطور المرض الذى اشتدت وطأته، تردد على مستشفى التأمين الصحى عن طريق العمل، وازدادت أجازاته المرضية، حتى تجاوزت الحدود للأجازات بأجر أو نسب من الأجر، وتم عرضه على اللجنة الطبية المختصة حيث قررت إحالته للمعاش المرضى، وزاد مع تقاعده عن العمل، إحساسه بالعجز واليأس من الشفاء.

باع شكيب شقته الفاخرة التى كان قد اشتراها فى القاهرة بخسارة تصل إلى ثلث ثمن شرائها واشترى بديلا لها شقة فى بلدته: الواسطى، بعد أن رسب أولاده جميعاً فى العام الدراسى الأول لهم فى مصر، فألحقهم بمدارس أخرى فى الواسطى ..

واتصل شكيب بصديقه عرفان حيث بثه شوقه، ورغبته الشديدة فى لقائه، واتفقا على لقاء فى بيت عرفان فى القاهرة. استقبله عرفان بالشوق والعناق، ورحب به فى بيته، وعبر شكيب عن شوقه وحنينه قائلاً:

– ياه! أنا بقالى عشر سنين ما دخلتش البيت عندك، بس حاسس إنى كنت عندك إمبارح. كل حاجة زى ما هيا، بنفس الترتيب والبساطة.

- الحمد لله على الثبات على الحال .. ولما تمر السنين ما تنقصش شئ فى حياة الإنسان يبقى خير .. المهم. طمنى على حالك يا شكيب.
- الحمد لله على كل حال. بس أنا فعلا فى أسوأ حالاتى، تتصور ياعرفان، انا بقيت صارف أكثر من نص مليون جنيه فى سنة، والحمد لله أنا لسه معايا فلوس، بس بالمعدل ده ومع الزيادة المتوقعة فى مصاريف الدراسة للأولاد، ومع زيادة مصاريف العلاج، مع انقطاع الدخل تقريباً، يعنى كله هات، مافيش خد، تبقى الأمور ما تطمنش.
- يا شكيب أنا نبهتك، ومع ذلك الوقت لسة بدرى، وتقدر تبدأ.
- أنا راجل مهندس وافهم فى المعدات وخصوصاً الثقيلة، لكن لا أعرف أشغل سوبر ماركت، ولا محل ملابس، ولا الكلام ده، وعلشان أعمل مشروع يلزمنى ملايين كتيرة مش متوفرة معايا دلوقت، وما أحبش أشارك حد، وانت عارف مشاكل إشتراك أكتر من واحد فى ملكية مشروع.
- طيب خلينا، متفقين على مبدأ ضرورة إستثمار الفلوس فى مشروع داخل فى تخصصك، ولغاية ما يحصل ممكن تحط الفلوس فى أوعية إستثمارية قصيرة الأجل فى أى بنك ..

وافترق الصديقان على وعد بالإلتقاء على فترات قصيرة .. وفى أول لقاء تالٍ رأى عرفان صديقه شكيب مستبشراً على عكس ما رآه فى لقائهما السابق – ففاتحه بحبور:

- خير ياشكيب أنا شايفك المرة دى أحسن. يارب تكون إستقريت على مشروع كويس؟
- ما هو دا اللى أنا جاى لك عشانه. معايا جرنال فيه تحقيق عن الرمال البيضا فى سينا. خد الجرنال إقرا التحقيق، وبعدين نكمل كلامنا.

وبينما قرأ عرفان، انشغل شكيب فى كتابة بعض الأرقام فى قصاصة صغيرة، وانتهى عرفان من القراءة فوضع الجريدة على ترابيزة صغيرة أمامهما وقال:

- جميل. موضوع يستاهل الدراسة الميدانية، وبعدين دراسة جدوى.
- طيب يبقى تجهز نفسك عشان تيجى معايا بكرة حانسافر العريش.
- نسافر العريش نعمل إيه؟
- نشوف على الطبيعة. نعاين، ونروح المحافظة نشوف إيه الإجراءات، ونجيب البيانات اللازمة لعمل الدراسة.
- عين العقل. وأنا - رغم إن عندى شغل بكره - حاخد أجازة عارضة أربع وخميس، ونضيف عليهم الجمعة والسبت، يبقوا أربع أيام يكفوا للرحلة.

سافر الصديقان، واستغلا يومى العمل الرسمى، فترددا على المكاتب المختصة، وجمعا كل ما أمكن من المعلومات والبيانات، ثم إستأجرا سيارة تحركا بها إلى مدينة الحسنة، وعند جبل الحلال عاينا المحاجر العديدة الغنية بالرمال البيضاء، وملآ عدة أكياس من الرمال ووضعا على كل كيس علامة دالة على موقع المحجر الذى أخذت منه العينة، وعادا إلى القاهرة فسلما العينات إلى معمل متخصص، وأظهرت النتائج أن نسبة نقاء العينات تصل إلى مائة فى المائة، وأنها تصلح لكل الصناعات المعتمدة على السليكون، أو التصدير فى حالة تعذر إقامة هذه الصناعات ..

وعض شكيب إصبعه ندماً على ما أنفق من أموال كانت كافية لإقامة مجمع صناعى لمنتجات السليكون، ثم حمد الله، أن لديه ما يبدأ به فى إستغلال محجر قد يكون نقطة بداية طيبة ..

ومرت شهور تقترب من العام، حتى تمت إجراءات طويلة وصولاً إلى حق إستغلال المنجم وأجهد شكيب أيما إجهاد خلال السفر ما بين الواسطى

والعريش، وزيارة الموقع فى المنطقة الجبلية التى تبعد خمسة وستين كيلو متراً عن العريش، وبدأت حالات النزيف تهاجمه بقسوة وبتكرار، ومع ذلك إستمر فى الإجراءات وشجعه إصراره وقناعته على المضى فى الأمر، حتى أصبح على وشك بداية التشغيل فاستطلع رأى زوجته فى قدرتها على العيش بعيداً عن أهلها فترافقه مع الأولاد للحياة فى العريش بصفة دائمة ونهائية فقالت:

– أنا بلدى اللى فيها جوزى وأولادى. وهوا إحنا لما عشنا فى عُمان كنا قريبين من أهلى؟

وسعد شكيب برأيها، وسافر إلى الموقع حيث أعد مكاناً لإعاشة العمال واشترى مولداً للكهرباء لتشغيل السير الخاص برفع ونقل الرمال، وإضاءة الموقع، وتعاقد على شراء المعدات الثقيلة اللازمة بالقسيط بضمان المحجر، ثم عاد ليكمل الترتيبات الخاصة لإنتقال الأسرة وسحب ملفات الأولاد من المدارس؛ الكبار لدخول الجامعة، والصغيرتان للإلتحاق بمدارس العريش وانتقلت الأسرة إلى العريش، حيث عاشت فى شقة صغير بالإيجار، وبطبيعة الحال قام ببيع شقة الواسطى لسداد دفعة من ثمن المعدات التى نقلها إلى الموقع بالفعل وعين الحراسة اللازمة وإثنين من سائقى المعدات من أبناء المنطقة ..

أنهى شكيب كل إجراءات بدء العمل وذلل آلاف العقبات التى صادفته فى سبيل ذلك، كذلك قام بتصفية الحياة فى الصعيد، وبدأ حياة فى العريش وأصبحت أسرته من أهلها .. لكن ذلك كان مجهداً، وجاء على حساب صحته، حيث أهمل العلاج، وكرس كل قرش دبره لتحقيق حلمه الجديد، وبالفعل لم يعد يملك من المال إلا ما يتوقع حصره بعد أن أرسى القواعد وزرع وتعهد الزرع وآن أوان الحصاد.

أحس شكيب بآلام مبرحة، وتعرض لأكبر نزيف أصابه منذ بداية مرضه، وانتظرت زوجته حتى طلع الصباح فاستأجرت سيارة أجرة ورافقت زوجها إلى

القاهرة واتجهت إلى إحدى المستشفيات الخاصة التى طلبت إيداع مبلغ كبير فى الحسابات قبل إجراءات الدخول، فقامت صفية بدفع نصفه وهو كل ما كان معها، على أن تسحب الباقى من البنك وتسدده فى نفس اليوم .. وفى البنك اكتشفت أن كل ما تبقى فى الرصيد عشرة آلاف جنيه، سحبتها بالكامل، وسددت للمستشفى نصفها، ورافقته فى غرفته .. بعد يومين ساءت حالته فانتقل إلى الرعاية المركزة لتزداد حالته سوءً ساعة .. بعد ساعة.

إتصلت بعرفان فحضر إليها وعرض عليها أن يرافق شكيب بالمستشفى لتعود هى لأولادها التى تركتهم فى مدينة لا يعرفون فيها أحدا، وليس معهم من النقود ما يؤمن لهم إحتياجهم أياماً .. لكنها أصرت على البقاء. تطورت الأحداث السياسية بقيام ثورة ٢٥ يناير، وازداد قلقها على أولادها فقررت العودة إليهم، وفى نفس اللحظة، أخطرتها المستفى بوفاة شكيب، وطالبتها بسداد سبعة آلاف جنيه قبل إستلام الجثمان، لم يكن معها سوى أربعة آلاف منها، فاستأذن منها عرفان لمدة ساعة، عاد بعدها ليسدد حساب المستشفى، وطلب منها الإحتفاظ بما معها لمواجهة مصاريف الجنازة، ومواجهة إحتياجات الحياة، بعد النهوض بأعباء الموت.

دفن شكيب فى مسقط رأسه، وعادت الأرملة البائسة إلى العريش فى ظل ظروف أمنية خطيرة، وانبرى الشابان للإضطلاع بمسئولية الأسرة وقررا تشغيل المحجر والصرف على الأسرة وسداد باقى ثمن المعدات من العائد ..

وبدآ بالمغامرة – غير المحسوبة – فانتقلا إلى مفارق الحسنة، وسط المخاطر، وقطع الطرق، وحين وصلاها لم يجدا سوى رمال تحركها الرياح فتذروها فى العيون، أما العمال فغير موجودين، وأما المعدات فقد ذهبت هى الأخرى أدراج الرياح، وقبل أن يبحثا عمن يجيب عن تساؤلاتهم؛ انطلقت نحوهم دفعات من الطلقات فعادا إلى بيتهما ولم يعودا أبداً إلى الموقع.

إبن حليمة

إعتاد عبدالقادر أبو دومة؛ مدرس الإلزامى، أن يكون الأول فى الوصول إلى المدرسة، قبل الناظر والمدرسين والتلاميذ، وحتى قبل معظم الفراشين – وأن يغادرها فى هدوء بعد إنصراف الجميع، فيعود إلى بيته بعد صلاة الظهر، لا يغادره إلا لصلاة الجماعة فى المسجد عقب كل آذان، وفيما عدا ذلك، كان يجلس على (كنبة بلدى)، مرتدياً جلابية كستور مخططة وعلى رأسه طاقية بـــ (حيط) من نفس قماشها مربع الساقين، وأمامه حامل خشبى عليه مصحف جوامعى كبير، يفتحه عند الصفحة التى توقف عندها فى آخر قراءة.

الرجل طيب؛ مفرط فى طيبته، حليم، مبالغ فى حلمه، متسامح إلى حد التسيب؛ هادئ الطبع، خفيض الصوت، قصير القامة، نحيل القد يطابق قول الشاعر:

حسبى من الضآلة؛ أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

يندمج فى القراءة فلا يكاد يشعر بما يجرى من حوله، أو هو يشعر به لكنه لا يعيره انتباهاً، أما زوجته حليمة – اسم على غير مسمى – ثرثارة، عالية الصوت، حادة اللسان، لا تعرف عن عفته شيئاً، منفلتة، لا ضابط لما تقول؛ فهى تحكى بتفاصيل فجة عن أكثر الأمور حساسية وخصوصية – حتى العلاقات الزوجية الحميمة – بألفاظ إباحية بذيئة، وتعبيرات تجسم ما تروى عنه تتخللها ضحكات رنانة تجلجل بين جنبات البيت بكل طوابقه الثلاثة، لا تراعى فى ذلك

جمهور المتابعين وما إذا كانوا من نسوة الجيرة، أو بناتهن، أو حتى بناتها هى وأولادها الصغار .

وكانت على النقيض من زوجها فى كل شئ، حتى بنيانها الجسمانى فهى ضخمة كشجرة الجميز:

غراء، فرعاء، مصقول عوارضها تمشى الهوينى كما يمشى الوجى الوحل

كانت تجلس بعد العصر فى كل يوم تقريباً – على كليم أسيوطى فى أرض الغرفة، وأمامها كومة الملابس التى غسلتها، ونشرتها، ثم جمعتها بعد أن جفت، ترتق ما تفتق منها، وهو كثير، ثم تقوم بتطبيقها، ونقلها إلى الصوان، أو هى تنشغل بلف أوراق الكرنب أو أوراق العنب حول الأرز الذى جهزته لإعداد وطهى المحشى.

وخلال ذلك تنادى على أحد أبنائها، وغالباً لا يجيب لها نداءاً، فتطلق الشتائم له ولكل إخوته بروائع التعبيرات؛ أخفها: "ياولاد الكلب"! وربما ارتفع صوتها عقب ذلك مباشرة بالغناء وربما أطلقت زغرودة، وخاصة لو تلقت خبراً سعيداً، مثل طلاق ابن خالتها منيب لزوجته للمرة الثانية .. واعتادت جاراتها الإبتعاد قليلاً عنها بفاصل ذراع، وقاية من ضربات يدها الثقيلة المصاحبة للإطراء على إحداهن، أو تأييد ما تقول.

من حول الرجل وزوجته يرتع الصغار من أبنائهما الذكور الستة، وربما شاركت البنتان بدرجة من العنف النسبى مقارنة بإخوتهما، أما الكبيران؛ سراج، وعماد فلهما شأن آخر.

كان الصغار فى حالة شجار دائم ينقلب إلى مطاردات فى مساحات ضيقة تفرض العدو ما بين قطع الأثاث أو القفز فوق بعضها إختصاراً للطريق، ويمتلئ الجو بما تطاير مما يتصوره المرء وما لا يتصوره؛ أحذية .. قباقيب .. حتى

أغطية الأوانى النحاسية، ويصل الشجار إلى قمته الدرامية حين يرتقى أحدهم أعلى دولاب الملابس ويأتى مطارده بسلم متحرك ليصعد إليه فيتركه حتى يقترب من أعلى الدرجات، ثم يركل السلم، فينقلب شقيقه على كومة الغسيل، أو فى (حلة المحشى) .. وأحياناً ينخلع قلبك حين ترى أحدهم يختبئ من إخوته بالقفز من النافذة بالطابق الثانى، وحين تبدى جزعك، تضحك الأم من قلبها وهى تطمئنك إلى وجود إفريز من المصيص أسفل النافذة ولا بد أن يكون الغلام قد جلس عليه.

كان سراج طالباً فى الجامعة، يشكل الفارق بينه وبين أصغر أشقائه، ضعفى عمره، وكان مختلفاً فى الشكل فقط فتراه هادئاً، وسلوكه يبدو معتدلاً، يشعر بقليل من الخجل من ممارسات والدته وبعض التحفظ على سلبية والده، والضجر وانعدام الصبر على شقاوة الصغار، ولولا ضآلة المصروف، ما بقى فى البيت لحظة، وقد سئم المطالبة برفع قيمة المصروف لدخوله الجامعة بعد تكرار الرفض بحجة أن له سبعة من الأخوة والأخوات وعليه أن يضع فى عينه "حصوة ملح".

فى لقاء مع منيب، اشتكى سراج من تقتير والدته، وطلب منه التأثير عليها لزيادة المصروف، وهو يعرف أن الوحيد القادر على هذه المهمة هو منيب؛ إبن العم، الذى كان مُقدراً أن يخطب والدته، لولا الملاسنات والإشتباكات اللفظية المفزعة، ما وصفته أمه وأمها أنهما (نار على زيت حار) وأنهما – لو تزوجا – فسيكون فى بيتهما فى كل يوم: "حريقة".

– وكأن سراج – بطلبه – قد ألقى لمنيب بطوق نجاة، فقال له بلهفة:

– ولا تفكر فى مصروف ولا كلام من ده دلوقت. أنا عندى حل مشكلتك لمدة سنة.

- تلقف سراج العرض متوسلاً:
- أبوس إيدك إلحقنى بالحل.
- فيك مين يكتم السر؟
- فى بير طبعاً .. إنت عارف مش كده؟
- معلش ياسراج أصل الموضوع اللى حاكلمك فيه ما ينفعش حد يعرفه حتى أبوك وأماك سواء وافقت أو ماوافقتش.
- قال الله، ولا فالك. هو انا معقول ما اوافقش.
- قال منيب بغموض: تمام. يبقى ع البركة.
- بركة مين؟ هو أنا فهمت حاجة ولا أنت قلت إيه الحكاية.
- الحكاية ياسيدى حاديلك خمسة جنيه كل أول شهر لمدة سنة.
- حلو خالص، دا مبلغ ضعف المصروف اللى باخده، بس حا تعمل كده ليه؟
- عشان حاجوزك.
- كمان؟ ياراجل بطل هزار .. ودى مين دى اللى تتجوزنى؟
- مراتى سناء.
- مش با لقولك بتهزر.
- لا والله ما بهزر .. وباتكلم جد، الجد.
- جد إيه هو ينفع ست تتجوز اثنين رجاله ؟
- لأ طبعاً. إنت حا تتجوزها إنت لوحدك.
- وإنت. حاتروح فين؟
- أنا طلقتها الطلقة الثالثة من كام شهر.
- وإنت يهمك إيه إن كانت تتجوز ولا لأ؟ وبعدين جاى تخطبنى ليها بصفة إيه؟ وإيه مصلحتك لما..

- وقاطعه منيب: نت لسة ما فهمتش؟ إنت حاتتجوزها صورى كده، عشان ما ينفعش أرجعلها إلا لما تتجوز واحد تانى ويموت أو يطلقها.
- وإنت عايزنى أموت ولا أطلقها؟
- بطل هزار واصحى معايا. إنت لو موافق. حانتقابل بكره مع المأذون واثنين شهود فى شقتى بعد المغرب. تكتب عليها، وبعد بكرة تطلقها. وأنا طبعاً مش واثق فى أى حد فى العالم غيرك إنت اللى تعمل لى الخدمة دى.
- أنا تحت أمرك، بس أنا ما عنديش لبس يناسب، يعنى عايز بدلة وقميص وجزمة وعايز مصاريف الليلة دى، ولا كمان عريس قشلان؟
- حيلك؟ إنت ناوى تعمل فرح وأجيب لك فرقة تزفك؟ يا سراج دا إجراء على الورق .
- يعنى عايزنى أتجوز واحدة وأنا لابس بنطلون وقميص مش ولابد؟ كأنك جايبنى من ع القهوة؟

وانتهى النقاش .. صمم سراج، واستسلم منيب فلم يكن يملك البديل؛ وفى حلة جديدة ورباط عنق وقميص وحذاء، حتى غيار داخلى كلها جديدة، انتقل العريس إلى بيت منيب، وتم عقد القران، وانفض الجميع إلا العريس والعروسة والزوج السابق؛ تساءل سراج بإستنكار:

- إيه يامنيب؟ إنت قاعد معانا لإمتى؟
- لأ ياللا بينا نمشى وحانتقابل بكرة.
- حرام. هى تمثيلية؟ أنا سألت، وعرفت إنى لازم أبات هنا ..

وعبثاً حاول منيب، ولكن أمام إصرار سراج على أنه لن يطلق إلا بإستكمال ما بدأه طبقاً للشرع، انصرف منيب على وعد بزيارة فى الصباح، وهمس فى أذن سراج: خليك ظريف يا سراج.

أوعدك.

مضت الليلة، بدايتها حرج، ثم كان البحث عن مداخل، عثرا عليها وقضيا الليلة زوجان على سنة الله ورسوله، وعند الفجر توجهت سناء إلى سراج بسؤال مفاجئ: ناوى تعمل إيه الصبح؟

- فى إيه؟
- فى اللى كلمك فيه منيب.
- لأ طبعاً. ما ينفعش.
- أبوسك.
- بوسينى ..

والتقيا من جديد .. حين تعالى الطرق على الباب، توجه سراج إليه ونظر من العين السحرية فوجد منيب ينفث دخان سيجارة فى يده فسأله من الداخل:

- أيوة يا منيب؟
- أفتح يا سراج إنت حاتكلمنى من ورا الباب .
- يا راجل؟ فى حد عنده دم يخبط على عروسين الساعة سبعة الصبح فى صبحيتهم؟
- افتح ياللا. بلاش هزار.
- دى مافيهاش هزار يا منيب. روح دلوقتى وتعالى بكره ولا بعده.
- انصرف منيب تفادياً لفضيحة وسط الجيران، ثم عاد، وانصرف .. وعاد، واتفق معه سراج على لقاء خارج البيت.

وردا على عتاب منيب على نكوصه فى وعده سأله سراج بجدية تامة:

- منيب. إنت الأهم عندك إنى كنت أتجوز سناء؟ ولا إنى أطلقها؟
- لأ طبعاً. انا طلبت منك تتجوزها، والأهم علشان تطلقها.

- طيب أنت صرفت على المهم كام، ومستعد تصرف كام على الأهم.
- آه يا ابن حليمة..
- ابن حليمة .. ابن لئيمة .. إيدك على ميت جنيه.

وأخرج منيب المائة جنيه ليراها سراج على أن يسلمها له أمام المأذون مع يمين الطلاق يجيلك سرطان وتصرفهم على الدوا ياسراج يا ابن حليمة !

* * *

السيد المحافظ

- طيب حضرتك عايزه ليه ؟
- لما أقابله حا أقوله.
- أنا مدير مكتبه، ولازم أعرف، ولازم إنت تعرف أن سيادة المحافظ التزاماته كتيرة جداً، ومواعيده مترتبة بالدقيقة ومش عايز أقولك بالثانية.
- مقابلتى معاه ممكن تكون أهم من كل المواعيد اللى انت بتقول عليها.
- طيب أنا ما اتشرفتش بمعرفة حضرتك، وإذا كان ممكن أشوف بطاقتك.
- أنا مواطن مصرى إسمى سمير الجوهرى، وأنا عارف إن لا إسمى ولا صفتى حا تستنتج منهم حاجة .. وبطاقتى فى الإستعلامات تحت.

وأستمر النقـــاش والجدل مع تصميم سمير على مقابلة محافظ البنك المركزى، وتصميم مدير مكتبه على عدم إمكانية السماح بالمقابلة دون معرفة الأسباب أو موعد مسبق من السيد المحافظ.

وعلت الأصوات، وخرج محافظ البنك مع ضيف كبير انتهت زيارته لتوصيله إلى باب المكتب، فلاحظ ما يجرى وتساءل عن أسبابه، وفهم سمير أن الواقف أمامه هو المحافظ فخاطبه:

- سيادة المحافظ. علشان مصر ومصلحتها لازم أقابلك خمس دقايق. دلوقت حالاً.
- ياه ؟ إقد كده إنت عندك اللى يحقق مصلحة مصر؟
- بكل تأكيد. وأنا طلعت باقول أى كلام استدعى الشرطة يسلمونى لمستشفى الأمراض العقلية.
- طيب ياسيدى، من غير شرطة ولا أمراض عقلية. تعالى ..

تقدم سمير نحو الباب الداخلى لمكتب المحافظ، وتقدم معه مدير مكتبه لمرافقته، تحسباً لأى تصرف يمس المحافظ أو إجراءات العمل، لكن المحافظ أشار إليه للبقاء فى مكتبه ..

جلس سمير على مقعد أمام المكتب الذى يجلس المحافظ خلفه، وبادره المحافظ يسأله؟

- هاه؟ إيه ياسمير الموضوع الخطير اللى فيه مصلحة مصر؟

ومد سمير يده إلى الجيب الداخلى من جاكتته فأخرج منها رزمة من أوراق النقد، ودفع بها فى اتجاه المحافظ يسلمه إياها قائلاً:

- تسمح تخللى حد يكشف لنا ع الدولارات دى، ويشوفها سليمة ولا مزيفة؟

تعجب المحافظ وأمسك بالأوراق من فئة الألف دولار. وسأله:

- طيب وانت ياراجل ياطيب لما تحب تعرف الفلوس اللى معاك سليمة ولا لأ. تيجى لمحافظ البنك المركزى؟!

- لأ ياباشا. دا أنا لما أعمل كده يبقى صحيح بقيت مجنون.

- أمال إيه بقى الحكاية؟

- بقي الحكاية. أنا عندى من الأوراق دى ومن الورق أبو ميت دولار كراتين، تعمل كده قول مليار دولار .. أقل شوية .. أكتر شوية ..

وظهرت علامات الدهشة والحيرة على وجه المحافظ، لدرجة أنه فتح الديكتافون:

- يافوزى .. إيعتلى البوفيه، وأجل كل المواعيد ساعة، أو لغاية ما أقولك.

ثم اعتدل بتحريك الكرسى نصف دائرة وارتكز بخده على كفه بينما استند مرفقه على زجاج المكتب، ثم وجه حديثة إلى سمير:

- إنت شغال فى صندوق النقد الدولى؟

وأجابه سمير ضاحكاً:

- هو اللى بيشتغل فى الصندوق بيبقى عنده مليار دولار؟

- صحيح!! تبقى انت صندوق النقد نفسه. أنا عايزك تاخد راحتك وتحكيلى. كل حاجة .. كل حاجة ياسمير.

وببساطة وتلقائية ملفتة حكى سمير:

- كل الحكاية يافندم إننا ساكنين فى بيت دورين وبدروم بتاعنا ما حدش ساكن معانا فيه.

- فيلا يعنى؟

- لأ. بيت من بابه من بيوت زمان لافيه جنينة ولا حمام سباحة .. وأنا سمعت من والدتى إن والدى الله يرحمه سابنا واحنا صغيرين، وعاش فى أمريكا تلاتين سنة، كل علاقتنا بيه إن إحنا عارفين إنه عايش .. وإنه فى أمريكا - بس فين فى أمريكا؟ ما نعرفش .. وإنه بيبعتلنا عن طريق حسابنا فى البنك مبلغ كل شهر، قعد يزيد من خمسميت جنيه لما بقى عشر تلاف جنيه .. ورجع من خمس سنين، وعاش معانا فى نفس البيت لغاية ما توفى من ست شهور فجأة بدون مرض.

دخل عامل البوفيه، وسأل المحافظ سميرعما يشربه، وأجاب سمير فى عجالة فى إشارة لرغبته فى الإسترسال فى حكايته التى قاربت نهايتها:

- شاى .. شاى مظبوط.

وأشار المحافظ للعامل:

- هاتلنا اتنين شاى بسرعة يا ابنى ..

وخرج العامل فأستأنف سمير الجوهرى حديثة:

- من شهر توفيت والدتى ولم يعد لوالدى وريث غيرى، وقررت أبيع البيت لكن وفاة والدى المفاجئة ما سمحتش بفرصة علشان يقول أى حاجة حتى عن أوراق البيت اللى احنا عايشين فيه وعملت - زى ما بيقولوا فى الجيش - فرش متاع؛ ماسبتش دولاب ولا درج، ولا شنطة أو صندوق إلا ما شفت إيه اللى فيهم، وما فضلش غير البدروم، ونزلت لقيت - أعزك الله - عنكبوت، وتراب، بس الحمد لله مافيش فأر، والظاهر إن والدى كان راشش حاجة أو عامل حاجة عشان موضوع الفيران .. القصد ياسيادة المحافظ، لقيت من ضمن ما لقيت؛ عشرين كرتونة، كل كرتونة فيها متين وخمسين رزمة من الورقة دى أم ألف دولار، ولاقيت خمسين كرتونة فيها ورق بميت دولار.
- وبعدين ياسمير .. كمل.
- طلعت كام رزمة من هنا .. وكام رزمة من هنا، وأخذت من كل رزمة ورقتين بشكل عشوائى ورحت لواحد صاحبى شغال فى مكتب صرافة وريتهم له وطلبت منه يقول لى الورق دا مضروب ولا سليم .. ولما أكد لى انهم مية .. مية - وأنا عمال أسمع إن مصر عندها أزمة فى الدولار، وإن المسائل بدأت تتكعبل عشان مافيش دولار، قررت آجى لحضرتك، ونتكلم إزاى مصر تستفيد وأنا استفيد.

دخل عامل البوفيه فأوقف المحافظ الحديث حتى خرج العامل بعد أن قدم الشاى والماء المثلج للضيف وللمحافظ، الذى اتصل بمدير مكتبه وطلب منه سرعة إستدعاء رئيس القطاع القانونى، ومدير عام الأمن اللذان حضرا على عجل. بينما توجس سمير خيفة من سماع مسمى وظيفتيهما. طلب إليهما المحافظ

أن يجلسا، ولخص أمامهما ما رواه سمير وطلب منهما ابداء الرأى، والاتفاق على الإجراءات المطلوبة. قال رئيس القطاع القانونى:

- بعد التأكد من كل الأوراق وتسجيل أرقامها وحروف المجموعات علينا مخاطبة البنك المركزى الأمريكى للتأكد من قانونية خروج الفلوس دى، وممكن مبدئياً السيد/ مدير عام الأمن يشرف على نقل الفلوس دى إلى مقر البنك، وإيداع المبلغ بعد تحديد قيمته بالخزينة كأمانة بصفة مؤقتة.

ثم توجه السيد المحافظ إلى سمير متسائلاً:

- طيب. أنت ماقولتش انت قررت إيه بالنسبة للفلوس دى لما تطلع سليمة؟
- أولاً .. تاخدوها وتحطوا لى قيمتها بالجنيه المصرى حسب السعر الرسمى فى حسابات تفتحوهالى فى البنوك اللى تحددوها وتخصموا ميت مليون جنيه لحساب المستشفيات والجمعيات الخيرية والصناديق اللى محتاجة لتبرعات.
- وانت عايز تودع المبالغ المهولة دى فى حسابات جارية ولا ودايع لها نسب فايدة معقولة؟
- هو انا لسة عايز أزود الفلوس اللى ملهاش أول ولا آخر دى؟! دا أنا باطلب من سيادتك تكليف مجموعة متخصصة فى الإستثمار تساعد فى عمل دراسات جدوى لمشروعات فى مجال التعليم والصحة وباقى الخدمات.

انتهى اللقاء، ونقلت الأموال تحت الحراسة المشددة إلى البنك، وكلف المتخصصون بإستكمال الإجراءات الخاصة بتقنين ملكية سمير لهذه الأموال ..

بعد ثلاثة أيام، تلقى سمير اتصالاً من رئاسة الجمهورية، وأخطر بتحديد الرئيس موعداً لإستقباله، وأن سيارة من الرئاسة ستحضر إلى عنوانه لنقله إلى

الإجتماع .. وفى الإجتماع شكره الرئيس على وطنيته وإحساسه بالمسئولية تجاه وطنه وسأله عما توصل إليه فى شأن استثمار كل هذه المليارات، وأجابه سمير بثبات:

- فى كل محافظة، مدرسة فى كل مرحلة من مراحل التعليم على أعلى مستوى والمدرسين من خيرة المدرسين، وفيها داخلية توفر الإعاشة الكاملة بمصاريف مافيهاش ربح للطلبة الأغنيا المتفوقين، وضعف التكلفة للأغنيا من غير المتفوقين ومجاناً للطلبة الفقراء المتفوقين .. ومستشفى فى كل محافظة بنفس النظام، ومصنع تحدد لى الحكومة نشاطه يشغل أولاد المحافظة من التخصصات اللى مطلوبة لنوع الصناعة.

وقف الرئيس مصافحاً ومثنياً على إيثاره كمواطن، أقل ما يستحقه وساماً لتكريمه، وقال له:

- إن مصر لن تنسى صنيعك الطيب، وأتمنى أن يكون كل مصرى عنده نفس الدرجة من الإحساس بالمسئولية. إنت ما تعرفش إن محافظ البنك المركزى لما بلغنى بالموضوع كان منبهر من بساطتك وأنت بتقول له على روايتك كاملة.

ثم قلده الرئيس وساماً رفيعاً قبل أن ينصرف.

خرج سمير من رئاسة الجمهورية، فعاد إلى منزله يملؤه الإحساس بالرضا عن نفسه مرتاحاً، وكأنه أزاح كابوساً ثقيلاً من على صدره، ولم تمض لحظات حتى كان قد استغرق فى سُبات عميق .. وراح فى نومه يحلم باكتمال المشروعات التى خطط لها، والتى رسم له خطوطها بدقة؛ خبراء متخصصون..

وفى خلال أحد الإجتماعات بكبار المديرين المسئولين عن إدارة بعض هذه المشروعات لمتابعة الأداء، أعلن عن عدم رضائه عن مستوى الأداء، وهدد أنه

لن يتسامح مع الإهمال الجسيم أو الإنحراف ورفع يده وهوى بكفه على المكتب أمامه بانفعال واضح.

وفتح عينيه ليجد نفسه وقد ضرب بكفه شباك السرير فاستيقظ من نومه وأفاق.

وأطرق لحظة فاستمع إلى أصوات والده ووالدته وإخوته يتحدثون خارج الغرفة، فتأكد من أنه كان نائما من مساء اليوم السابق، وسعد بالحلم الرائع الذى انتهى لتوه، وأغمض عينيه فى محاولة لاستئناف النوم علّه يواصل الحلم .. ولكن الحلم لا يتصل إذا انقطع.

* * *

ظريف

رغم كل شئ، لم يملك أحد من أصدقائه، أن يقاطعه، أو ينأى عنه إيثاراً لسلامة أو نجاة مما يمكن أن يتعرض له من مشاكل نتيجة لمرافقته إياه. كان منذ طفولته نجماً من نجوم الفكاهة، بتلقائية مدهشة، وهو منتج غزير لإنتاج المواقف المرحة والحرجة فى نفس الوقت. كان متوسط الطول والوزن، أحمر الوجه بلون عرف الديك، شعره كستنائى غزير يهبط على جوانب رأسه كأنه ينطلق من نافورة وسط أعلاها .. اما أذناه فكبيرتان نسبياً تبرزان على جانبى وجهه بشكل ملفت.

إنضم لفريق الكشافة فى مدرسته، فتبعه نصف التلاميذ من فصله لمجرد التواجد معه لأطول وقت ممكن .. وكان عاملاً مشتركاً فى مجموعات الأصدقاء بين أبناء الحى الذى يسكنه وتلاميذ المدرسة التى يدرس بها.

ذات صباح ودع أصحابه بالإحتضان والتقبيل وسأله أحدهم عن سبب الوداع فأجابه:

- رايح بنها.
- يعنى مهاجر ياظريف؟ دى أقل من خمسين كيلو .. يعنى نص ساعة رايح، ونص ساعة جاى.
- مش يمكن ما ارجعش؟
- يمكن! طب أنا ممكن آجى معاك، عشان أنا عارف إنك حاترجع على طول. بس انت مسافر ليه؟
- حا اسلم الجزمجى مقاس جزمة والدى عشان إحنا بنتعامل معاه من أيام ما كنا عايشين فى بنها.

اتفق الصديقان، والتقيا فى الصباح فى موقف الأتوبيس، وركبا معاً الأتوبيس المتجه إلى بنها، وجلسا على الكنبة الخلفية المجاورة للباب الخلفى. فى مواجهة مقعدهما كنبة مماثلة جلست عليها من جهة اليمين سيدة وإلى جوارها رجلين، أمسك المجاور لها جريدة فتحها، واستقر لوقت طويل على وضعه .. نظر ظريف إلى المرأة، فقرأ إرتياحاً على وجهها، ثبّت نظره عليها فلم تشح بوجهها عنه، أو تسقط نظرها ــ وابتسم، فابتسمت .. وغمز لها بعينه .. وفى هذه اللحظة بالذات، أسقط الرجل المجاور لها الجريدة، وأصبح مواجهاً لظريف، وفى لحظة بدا عليه الغضب، ثم تلاشت علاماته بالتدريج؛ فقد استمر ظريف يغمز بعينه حتى وصل الأتوبيس إلى بنها، وبعد نزولهما من الأتوبيس سأله وجدى:

- إنت إيه اللى حصل فى عينك؟
- إنت ماشوفتش جوزها حجمه قد إيه وهو قاعد؟ أنا سقت فيها عشان يفتكرانى عندى حركة عصبية. وفعلاً شربها وسكت ..

وصل الصديقان إلى محل الأحذية، وسلم ظريف للـ (جزمجى) صورة لقدم والده مرسومة على كرتونة بحجم القدم، وارتد مع صديقه إلى الموقف حيث استقلا الأتوبيس العائد فجلسا على الكنبة المماثلة، ثم امتلأ الأتوبيس عن آخره بالركاب، ووسط الزحام وقفت سيدة فى الأربعينيات ممتلئة الجسد، تتأفف من كل شئ؛ الزحام .. ورائحة العرق .. وتلاصق الأجساد .. ورأى وجدى ما يحيط بها من احتمالات تحرش، فقرر أن يتخلى لها عن مقعده، فقام وأشار للسيدة بالجلوس مكانه فاستدارت وبدأت تهوى بجسمها الممتلئ لتشغل المكان فى اللحظة التى رأى ظريف أن من الأليق أن تجلس السيدة على حافة الكنبة بدلاً من حشرها بينه وبين الجالس على الحافة الأخرى للكنبة فانزلق بمقعدته حيث شغل المقعد الذى أخلاه وجدى فى خفة وسرعة لم تمكن السيدة من تداركَ

التغيير الذى حدث فسقطت فى حجر ظريف، وحاولت أن تنتفض واقفة فى سرعة، لكن الزحام أمامها، وعدم وجود ما تمسك به لمعاونتها على الوقوف حال بينها وبين ذلك، وأطبق ظريف على وسطها بكلتا يديه ورفعها حيث وقفت، وأحس حرجاً شديداً مما فعله دون قصد مجاملة لها، وقرر تصحيح الموقف، فعاد إلى مقعده، بينما قررت هى أن تميل بجسدها لكى تجلس فى المقعد الخالى الذى شغله ظريف لتوه، فجلست فى حجره من جديد .. ساعدها ظريف لكى تنتقل فى وضع الجلوس إلى المقعد الخالى، بينما وقف تأكيداً لخلو المقعدين حيث تجلس حيثما جلست دون تكرار للمواقف الحرجة، فجلس إلى جوارها أحد الركاب .. وظل ظريف وصديقه وجدى واقفين حتى وصلا إلى مدينتهما؛ طنطا.

وارتكب ظريف ما استوجب فصله من المدرسة أسبوعاً، وألا يعود بعده إلا برفقة ولى أمره. كان من المستحيل أن يبلغ ظريف والده بما وقع، حتى لا يتعرض لموقف حرج يعكسه عليه والده إهانة وتوبيخاً. لم تعيه الحيلة؛ بسرعة اتفق مع أحد رفقاء المقهى الذى يكبره بسنوات كثيرة على مرافقته إلى المدرسة على أنه والده. لقنه بالتفاصيل، وطلب منه إجادة تمثيل دور الأب أمام الناظر، وسمح له بأن يوجه له بعض عبارات التوبيخ فى حضرة الناظر إمتصاصاً لغضبه حتى يقبل الإعتذار.

فى اليوم المتفق عليه، التقى ظريف ببديل والده وقد ارتدى بدلة كاملة ورباط عنق، وهذب شاربه وأمسك بـــ "منشة" فاتجها إلى المدرسة، ودخلا معاً إلى الناظر، الذى انفعل، ووجه كلاًما حاداً وعبارات قاسية للأب، واتهمه بالفشل فى تربية ظريف، لأنه لو أحسن تربيته لما صدرت منه الأفعال التى يندى لها الجبين.

أحرج الأب المزيف، وتفاعل مع توبيخ الناظر، واندمج فى تمثيل دور الأب المصدوم، والمهان فرفع يده، وهوى بها بشدة على صدغ ظريف قائلاً:

- شايف عمايلك يالابن الكلب سببت لى أكون فى الموقف البايخ ده قدام ..
- ولم يكمل الرجل عبارته حيث هوت كف ظريف على وجهه قائلاً:
- أهو انت اللى ابن كلب .. انت حاتسوق فيها ولا إيه؟ هات الربع جنيه اللى لهفته. خسارة فى أهلك.

وبالطبع فإن البقية ليست بحاجة لأن تحكى.

واقترح ظريف على (الشلة) عمل رحلة إلى أحد الشواطئ بأقل تكلفة ممكنة. إقترح كل زميل خطة للتحرك؛ قال ميشيل:

- نستعمل طريقة (أوتوستوب) للركوب مجاناً مع أى سواق للمسافة اللى يكون فى اتجاهنا.

ورد فريد:

- صعب جداً لأن عددنا ستة، ومفيش عربية واحدة تاخدنا مع اللى راكبين فيها، ومعنى كده اننا حانفترق على الطريق ومش حانعرف نتجمع، وكمان الناس بدأت تخاف تركب حد ما تعرفوش.

واقترح مصطفى:

- طيب ناخد المسافة كلها مشى ونعمل وثبات نستريح كل كذا كيلو ..

رد وجدى:

- ياراجل؟! حانمشى مية وعشرين كيلو لغاية بلطيم ولا راس البر؟ حا ناخد كام يوم رايحين، وكام يوم راجعين؟ وياترى كلنا حانكمل ولا مين حايسقط فى السكه؟

وقال ظريف بحسم:

- حل واحد مفيش غيره: المواصلات؛ حانركب قطر الدلتا - اللى أصلاً رخيص - بنص تذكرة، وحاناخد معانا الهايكات الى عندنا للمبيت. وحاناخد

معانا الحلل الميدانى وكمية عدس، وكمية فول، وكام كيس لبن جاف من اللى بنستلمه من المدرسة ببلاش، وشوية قراقيش بيتى، وحانشترى من الغيطان اللى حاتقابلنا، كرنب وخس وجزر وطماطم، وحاتمشى الأمور بكام قرش مش حايوصلوا جنيه.

وفى صوت واحد تساءل نصف المجموعة:

- وحا نركب بنص تذكرة إزاى واحنا شُحُطة كده؟

وأجابهم ظريف بثقة وثبات:

- سيبوا دى علىّ. أنا عارف إن الرحلات بتدفع نص تذكرة.

وافقت المجموعة على الخطة، وحددوا يوم السفر، وبدأوا فى إعداد المؤن واللوازم .. وفى اليوم السابق للموعد ذهب ظريف إلى محطة القطار، وطلب من موظف بيع التذاكر ستة أنصاف تذاكر، وتساءل الموظف فى إستغراب:

- لمين الأنصاص دى؟
- ليه أنا وخمسة زملائى طالعين رحلة.
- تبع إيه؟
- مش تبع حد. تبع نفسنا.
- لأ لازم تجيبوا جواب من جهة بتنظم رحلات؛ السياحة؟ مركز شباب؟ عشان تقطعوا نص تذكرة.

انطلق ظريف إلى مركز شباب المدينة وطلب من المسئول إصدار خطاب بأسماء المجموعة على أن الرحلة من أنشطة المركز، ورحب المسئول مع تحفظ واحد:

- الفكرة كويسة واحنا نوافق ونشجع بس لازم تكونوا أعضاء فى المركز.
- والعضوية دى نعملها إزاى؟

- تجيبوا صورتين لكل واحد وتملوا إستمارة مجانية وتدفعوا الإشتراك من بداية السنة.

- والإشتراك ده أد إيه؟

- قرشين صاغ فى الشهر، يعنى أربعة وعشرين قرش عن السنة كلها.

شكره ظريف وانصرف محدثاً نفسه:

- التذكرة فى القطر بعشرين قرش رايح جاى يعنى أدفع أربعة وعشرين قرش عشان أوفر عشرة صاغ .. يابلاش؟

عاد ظريف إلى موظف بيع التذاكر، وطلب منه شراء التذاكر حيث أن خطاب الرحلة سيسلم لهم مساءاً من مركز الشباب، ويمكن تقديمه للكمسارى فى القطار .. ووافق الموظف محذراً أن الكمسارى سيحملهم بغرامة تعادل ضعف قيمة التذكرة ما لم يقدموا له الخطاب، وطمأنه ظريف إلى التزامه بذلك.

حملت المجموعة حقائبها التى يطلقون عليها فى الكشافة اسم "جربندية" محملة بكل ما يلزمهم فى عشرات من الأكياس، وارتدوا ملابس الكشافة؛ قميص له جيبان على الصدر، وشورت فيه عدد من الجيوب المغطاة، وحزام به جرابان، والتقوا فى المحطة واستقلوا القطار فجلسوا فى العربة الأخيرة، وظلوا يتسامرون، وينتقلون فى الحديث من حكاية إلى أخرى ويتبادلون الطرائف والفكاهات، وظهر الكمسارى فى بداية العربة يطالب الركاب بصوت جهورى بإبراز تذاكرهم.

وبسرعة؛ لقن ظريف زملاءه بخطة تعاملهم مع الكمسارى الذى وصل إليهم:

- تذاكر.

- إدى له التذاكر يايوسف.

- التذاكر معاك ياوجدى.

- لأ أنا بعد ما اشتريتها إديتها لميشيل .خفت أضيعها عشان معايا شيل كتيرة.
- يقلب ميشيل فى جيوبه العشرة بدقة وعلى مهل، ولما لم يجد التذاكر وجه حديثه لظريف:
- مش أنت قلت خللوها معايا أحطها فى الجربندية أضمن من جيوبنا؟
- صحيح .. افتكرت.

ويخرج ظريف كيس العدس ويدس كفه إلى آخره فيه ثم يخرجها ويغمسها فى كيس الفول، ويخرج كيس اللبن ويفرش جريدة فيلقى باللبن فوقها ثم يعيد اللبن إلى الكيس ويقلب فى قاع الجربندية وجيوبها، ويعيد الأكياس ويغلق الجربندية .. وينفد صبر الكمسارى ويتوعدهم بتغريمهم، فهذه الأمور لا تتطلى عليه، ويثور ظريف لكرامته:

- عيب تتكلم كده. إحنا مش هفأ، ولا ناس م الشارع.
- طيب يابهوات حا اكمل العربية واجيلكم تكونوا لقيتم التذاكر.

ولم يكن فى العربة ركاب كثيرون لم يفتش الكمسارى على تذاكرهم وسرعان ما عاد إليهم، فقدم إليه ظريف أنصاف التذاكر، وسأله الكمسارى متهكماً:

- إنصاص بمناسبة إيه إن شاء الله؟
- رحلة.
- فين الجواب بتاع الرحلة؟ أشوفه؟
- ماشى. إديله الجواب يامصطفى.
- لأ دا يوسف اللى جابه.
- ما انا أديته لميشيل.
- أيوه أنا أخذته واديتهولك ياظريف.

تركهم الكمسارى يكملون الحوار، ومضى فى طريقه بينما قال لهم وكأنه يكلم نفسه:

- حاتقرفونى وتوقفونى، وتباصونى لبعضكم، والآخر، الجواب أهو. جتكم القرف.

وضحك ظريف ضحكة انتصار، حيث لم يكن معهم أى خطاب..

مضى القطار مع صفيره وأخذ الرفاق يمنون أنفسهم بقضاء أيام سعيدة، ويحسدون أنفسهم لأنهم فى رفقة ظريف، الذى لا تصمد المشاكل أمامه، لكن يوسف استكثر على نفسه وعلى المجموعة السعادة المتواصلة، وأراد أن يطعمها بشئ من النكد لكى تساير الحياة فى طبيعتها، واستغل لحظات من الصمت. سكت فيها الجميع، كفاصل بين المُزح:

- ظريف، إوعى تكون ناسى بعد الضحك دا كله، ان فيه نكد مستنيك بعد ما ترجع.
- نكد إيه يا يوسف ياحبيبى؟ هو انا بتاع نكد برضه؟
- مش انت قلت لى إن ابن عمك اللى ساكن فى الدور الأرضى فى بيتكم حايجيب لكم مصيبة عشان بيبيع مخدرات فى شقته .. والريحة فاحت، وممكن الشبهة تطولكم وتروحوا فى الرجلين؟
- لأ ما أنا حليتها خلاص.
- ياراجل؟! .. عملت إيه؟ بلغت عنه؟
- لا ده برضه ابن عمى. وكمان جايز البلاغ يطلع فاشوش.
- أمال عملت إيه؟
- كتبت يافطة عند الخطاط وعلقتها على بلكونتنا، وكتبت فيها؟

،، نحن لا نبيع المخدرات فى الدور الثانى،،

***

السيد / دبوس

كاد أن يطوى الجريدة وينحيها عن ناظريه، بعد أن قلب صفحاتها وقرأ العناوين الرئيسية فى عجالة دون أن يلفت نظره منها عنوان يستحق أن يقرأ التفاصيل من تحته ..

وكانت فى نفسه غصة من قراءة الجرائد "البايته" أى فى الأيام التالية لصدورها حيث لم يكن يملك رفاهية شرائها، بل كان يتلقاها من ابن عمه رستم فى مساء يوم صدورها أو فى صبيحة اليوم التالى ..

لكنه – وقدهم يطوى الجريدة بالفعل – لمح إعلاناً فى صفحة المجتمع؛ إستوقفه، فأعاد فتح الصفحة ليقرأ نصه بتمعن:

"أجب عن السؤال التالى، وأرسل الإجابة مع حوالة بريدية بخمسة جنيهات إلى عنوان الجريدة وارفق صورة شخصية حديثة مع بياناتك الشخصية كاملة"

الإسم الرباعى – العنوان بدقة – تاريخ ومحل الميلاد – الوظيفة – الحالة الإجتماعية.

وعن طريق القرعة بين أصحاب الإجابات الصحيحة سنهدى الفائز الأول مصباح علاء الدين لتحقيق كل أحلامه كالآتى:

- جائزة مالية كبرى مقدارها مائة ألف جنيه.
- إقامة مهرجان دعائى فى الصحف وعلى شاشة التليفزيون يكون نجمه الفائز الأول ويتحقق له من خلاله لقاء النجوم والمشاهير الذين يحددهم ويحاورهم فيما يحدد.
- لقاءات وتحقيقات صحفية تغطى الجوانب التى يرغب إلقاء الضوء عليها من حياته وعرض أفكاره وطموحاته.

– أما الفائز الثانى فسيربح جائزة مقدراها خمسون ألف جنيه.

كان مصطفى قبل أيام يتحاور مع رستم حول إمكانية تجميع عدد من الأصدقاء والأقارب لعمل "كارتيلا" ويفوز بها أحدهم وتوفر له مبلغاً له قيمة ذات فائدة .. وتساءل رستم عن الـ "كارتيلا"، فشرح له مصطفى أنها قطعة مربعة من الورق المقوى أو الكارتون مثبت عليها ورقة صغيرة مطبوع عليها رقم ما، وفوقها تلصق ورقة بنفس مساحة الكارتون مطبوع عليها بالكامل مربعات صغيرة يتوسط كل منها رقم من واحد إلى، ستة عشر، أو خمسة وعشرين أو ستة وثلاثين، ويتفق المشاركون على قيمة مالية موحدة يدفعها كل مشترك فيسدد اسمه فى أحد المربعات بما يعنى أنه يحمل رقم ذلك المربع، وبعد ملء جميع المربعات، وفى وجود كل المشاركين تنزع الورقة ليظهر الرقم المطبوع على الورقة الصغيرة أسفلها، ويصبح من يحمل هذا الرقم هو الفائز الذى يتسلم إجمالى المبلغ الذى تم تحصيله من المشاركين ..

أعجبت الفكرة رستم وتساءل عن إمكانية تجميع عدد كبير للمشاركة فى هذه العملية، ومن أين يأتى بالكارتيلا، ثم فترت عزيمته لتضاؤل إحتمال الفوز كلما زاد عدد المشاركين.

رأى مصطفى فى الإعلان فرصة عظيمة، لأن النشر فى جريدة ذائعة الصيت يوفر فرصة طيبة لمشاركة واسعة، وبالتالى فمبلغ الجائزة والمزايا الأخرى تحقق نقلة لا يمكن تحقيقها بالجهد العادى أو حتى غير العادى. صحيح أن فرصة الفوز تعادل إمكانية ولوج جمل من ثقب إبرة، لكنه كان معجباً بمقولة شيلر: "إذا كان المنطق القديم قد علمنا أن كل الغربان سوداء، فيجب ألا يعوقنا ذلك عن البحث عن غراب أبيض".

وضع يده فى جيبه وأخرج كل ما فيه – وهو كل ما يملكه – ولم يرهقه العد حيث كان المبلغ – وبدقة – ستة جنيهات ونصف. استرجع ما درسه فى

علم الإقتصاد وقال لنفسه؛ إن من يريد عائداً ضئيلاً ومضموناً فليودع ماله فى البنك، ومن يقوى على المخاطرة ويملك حساباتها فليعمل بالتجارة لكى يحقق ربحاً أكثر، وربما صادف خسارة، أما من أراد أن يضاعف ماله أضعافاً، أو يخسر كل شئ فعليه بالمقامرة.

ولما كانت المقامرة فى حالته هذه شديدة الإغراء، فالتضحية بقليل القليل، والمقابل – إذا ابتسم الحظ – غير متصور يمثل نقلة مغرية، بل يوفر حياة جديدة سعيدة رأى نفسه مستحقاً لها، اختمرت الفكرة، وهم بالتنفيذ قبل أن يتردد تحت ضغط إحتياجه لما فى جيبه من النقود .. فقام على الفور وأحضر ورقة وظرفاً وقلماً، فأجاب عن السؤال على الورقة ثم أضاف بياناته الشخصية بالتفصيل الوارد فى الإعلان، وأرفق صورة شخصية له، ووضعها فى الظرف الذى كتب عليه العنوان المعلن عنه، واتجه به إلى مكتب البريد المجاور لمنزله، حيث أودع حوالة بالمبلغ المطلوب، وأغلق الظرف، ثم سلمه للموظف المختص لتسجليه، وعاد إلى منزله لتخطيط إنفاقه فى الأيام التالية فى حدود الجنيه الوحيد المتبقى فى جيبه، وحتى يحين موعد صرف المرتبات فى أول الشهر التالى.

مرت ثلاثة أسابيع عجاف قبل أن يحل موعد صرف المرتبات حيث علا رصيده من صفر إلى إثنى عشر جنيهاً .. وكما أن المصائب لا تأتى فرادى، فإن النعم كالسحب تتوالى وكما يقولون فإن أول الغيث قطرة.

اشترى الجريدة فى اليوم التـالى وقرأ فى صدر صفحتها الأولى: "نتيجة مسابقة الجائزة الكبرى" وبسرعة انتقل إلى الصفحة الداخلية التى حملت التفاصيل، وصعقه ما وقع عليه بصره حيث رأى إسمه بالبنط العريض أمام كلمتى: الفائز الأول.

تمعن فى الجريدة، وتأكد من اسمه الرباعى، ثم ألقى الجريدة على مائدة أمامه مفتوحة على الصفحة الصاعقة، وأغمض عينيه، وسحب كماً من الهواء

إلى صدره فى شهيق طويل وعميق .. وتمالك نفسه رويداً .. رويداً .. ثم فتح عينيه وأعاد قراءة الخبر فى تمعن، واسترسل إلى التفاصيل، ولفت نظره عدد المشاركين الذى تخطى مائة ألف مشارك، نجح منهم قرابة عشرة آلاف فى الوصول للإجابة الصحيحة، وعن طريق القرعة فاز مصطفى زناتى عبدالجليل الطنطاوى، الذى كان هو نفسه.

إذن فقد فاز، وأصبح مطالباً باستغلال مبلغ من المال، لم يكن يحلم به .. وفرصة معنوية للشهرة، وجذب الأنظار، والوصول إلى جماهير عريضة يمكن أن تثق به ..

تضاعف طموحه، ورأى أن المبلغ الذى سيتقاضاه لن يكون كافياً – بعد خصم الضرائب، وربما بعض التبرعات شبه الإجبارية – لكى يؤسس مشروعاً يحقق دخلاً جيداً ويقبل التطور والتوسع، وتوصل بعد تفكير عميق إلى حل مناسب، فسجل تفاصيله على الورق .. وبدأ يستعد للقاءات التليفزيونية والصحفية، فأرسل الملابس إلى المكوجى .. وقام بتلميع الحذاءين اللذين يمتلكهما، وحلق ذقنه وشعره مع توصية للحلاق بالإعتناء الإضافى إكراماً للظهور التليفزيونى، وأخذ يرتب أفكاره بناء على ما توقع من أسئلة، والبحث عن بدائل للإستهلال بدلاً من العبارات المألوفة، والمتكررة من ضيوف البرامج التليفزيونية مثل: "فى الواقع" و"حقيقةً" وغيرها وبينما هو سارح فى افتراض التفاصيل، وابتكار الوسائل المثلى لاستغلال الفرصة؛ إذا بجرس الباب يدق، ويدق من جديد بفاصل قصير أجبره على الإندفاع نحو الباب وفتحه ليفاجأ بعدد من المحررين والمصورين. سأله أحدهم فى عجالة:

– حضرتك مصطفى الطنطاوى؟

– أيوه أنا.

– ألف مبروك فوزك بالجائزة الكبرى وعايزين نسألك كام سؤال.

- طب اتفضلوا ادخلوا ..

ودخلوا، جلس المحررون، بينما واصل المصورون إلتقاط الصور من الأمام ومن الخلف وصور جانبيه (بروفيل) وصور للمسكن، وخلال ذلك وجهت له عشرات الأسئلة، كان قد توقع معظمها فأجاب عنها بإسهاب، وفى نهاية اللقاء قال له أحد الصحفيين:

- يوم التلات الجاى الساعة سبعة مساء تشرفنا فى مقر الجريدة علشان رئيس مجلس الإدارة، ورئيس التحرير حايسلموك الجايزة، والتلفزيون حايصور الإحتفال، وحايكون لك كلمة قصيرة قبل ترتيبات ظهورك إعلامياً بشكل موسع.

- يسعدنى .. وحاكون فى الجورنال قبل الميعاد بإذن الله ..

فى الموعد - وتحت الأضواء وأمام عدسات المصورين، وكاميرات التليفزيون - تسلم شيكاً بالجائزة، وتم تقديمه ليلقى كلمة يعبر فيها عن شعوره فى لحظات تسلمه للجائزة الكبرى.

وفوجئ الجميع حين قال على غير توقعهم:

قيمة الجايزة كبيرة، وربما تفوق أحلامى قبل ما تصبح حقى .. لكن دلوقت أنا شايف إن قيمتها صغيرة - بل ضئيلة - فى مواجهة أفكارى لاستثمارها، عشان كده أنا بافكر فى مضاعفة المليغ خلال الفترة القصيرة الجاية.

لم يفصح عن شئ، لكن ما قاله دفع الكثيرين لتعليقات جانبية، وصفته حيناً بالطموح وحيناً آخر بالغرور، لكن الجميع كانوا ينتظرون إعلانه لما يدور فى رأسه.

بعد أيام أخطر بموعد المهرجان والبرنامج التليفزيونى الذى سيستضيفه وسئل عن اسم الفنان أو المسئول أو لاعب كرة القدم الذى يحب أن يرافقه فى البرنامج فأجاب بالشكر والاعتذار لأنه لا يرغب فى مشاركة أحد.

أمام العدسات سأله مقدم البرنامج:

- إنت لك تصريح يوم إستلامك المبلغ المحدد للجايزة، وقلت أنه مبلغ أقل من طموحك. ممكن تشرح لنا وجهة نظرك؟
- أنا أعرف إن ميت جنيه لا تصلح للإستثمار، إنما ممكن تكفى لعشوة شهية، وبعدها بخ. أما ألف جنيه فتكفى – ربما – لفتح كشك سجاير وبسكويت، ممكن يكسب عشرة جنيه كل يوم وممكن تيجى البلدية تشيله، وعشر تلاف جنيه ممكن يفتحوا محل بقالة وانت وحظك، وميت ألف جنيه تفتح مشروع صغير أو ورشة حظها من المكسب أكتر شوية.
- تقصد إيه بالكلام ده؟
- أقصد إن المبلغ المخصص للإستثمار، كل ما زاد كل ما زادت فرصته فى الربح، وفى الاستدامة والثبات فى مواجهة الأعاصير. إنت عارف حضرتك ليه بيسموا الميلون جنيه، أرنب؟ وليه بيقولو للمليار جنيه فيل؟
- ليه؟
- عشان المليون جنيه بتتكاثر بسرعة تكاثر الأرانب، والمليار جنيه، رجله ثقيلة، زى الفيل يدوس ع اللى فى سكته.

وعلق مقدم البرنامج:

- وبالتالى، انت بتفكر فى المليون .. وفى المليار .. طب ازاى حاتوصل لهم؟
- أنا حاخد موافقة وزارة الشئون على إعلان، اقتبست فكرته من الإعلان اللى انا كسبت جايزته، واعمل إعلان عن مسابقة بين الشباب من سن محدد لتقديم

مشروع لإستثمار خمسة مليون جنيه، وتخصيص مبلغ عشر تلاف جنيه جايزة للفائز وتعيينه مساعد لمدير المشروع.

- وحاتجيب الخمسة مليون جنيه منين؟
- ماهو أنا حاشترط على اللى يشارك فى المسابقة أنه يبعت حوالة بعشرة جنيه، وأتوقع مشاركة نص مليون شاب فى المسابقة، وحايتم تعيين أكتر من نص العاملين فى المشروع من بين الشباب المشاركين أصحاب الأفكار المتميزة.
- الفكرة تبدو براقة. لكن فين ضمانات النجاح؟
- ما احنا اتفقنا لو اشترطنا الضمانات نبقى وافقنا على انخفاض الربح.
- وتوقف مصطفى الطنطاوى فجأة، ليتحول إلى سؤال درامى:
- حضرتك سمعت عن الأستاذ / دبوس؟
- ضحك المذيع وتساءل: مين الأستاذ/ دبوس؟
- دا شاب فرنسى دخل لرئيس شركة كبيرة لعمل مقابلة (إنترفيو) ضمن عشرات الشباب لتسلم وظيفة معلن عنها.
- وبعدين؟
- أثناء المقابلة إلتقط الشاب دبوساً من على سجادة المكتب وقدمه للمدير .. واستغرب المدير وسأله عن سبب تصرفه، ورد عليه الشاب، إنه اتعود لما يدخل مكان بيفحصه كويس من الأرض للسقف، للجدران .. ومحتويات المكان، وبيهتم أكتر بالحاجات الصغيرة.

أعجب المدير بالشاب وسلمه الوظيفة فوراً، وأطلق عليه اسم: (Monsieur Epingle) يعنى السيد/ دبوس. وخلال سنوات قليلة أصبح إبينجل واحداً من أكبر رجال الأعمال فى فرنسا.

أنا اتعلمت وانا صغير إن معظم النار من مستصغر الشرر.

* * *

المؤلف في سطور

- محمود محمد علي مبروك – وشهرته: محمود مبروك
- من مواليد الغربية عام ١٩٤١
- حاصل على بكالريوس تجارة – دبلوم المعهد العالي للدراسات الإسلامية. قاتل مع القوات المسلحة في اليمن – ١٩٦٧ – حرب الاستنزاف – انتصارات أكتوبر – شغل عدة وظائف انتهاء بمدير عام في شركة النصر لصناعة السيارات.
- **عضو مجلس إدارة سابق بكل من:**
  - شركة النصر للسيارات – صندوق التأمين الخاص بالشركة.
  - شركة المهندس الوطنية لصيانة السيارات "مهندسكار".
  - نائب رئيس مجلس إدارة نادى ١٥ مايو الرياضي والاجتماعي.
- **مارس الأعمال الصحفية التالية بعدة صحف:**
  - كاتب مقال – مستشار تحرير – مدير تحرير – الدسك المركزي – رئيس تحرير تنفيذي .
- **له العديد من الكتب السياسية والعسكرية والقصص القصيرة، منها:**
  - لقاءات مع جمال عبد الناصر.
  - يوميات ضابط في حرب اليمن.
  - عازف العود (تحت الطبع).
  - أم حلاوتهم (تحت الطبع).
  - رؤي صدقتها الأيام (تحت الطبع)
- **حاصل على جائزة الشئون المعنوية للقوات المسلحة:**
  - قصة قصيرة: ساعة في سيناء.
  - قصة قصيرة: عائلة المصري.
  - قصة قصيرة: اختراق السحاب.